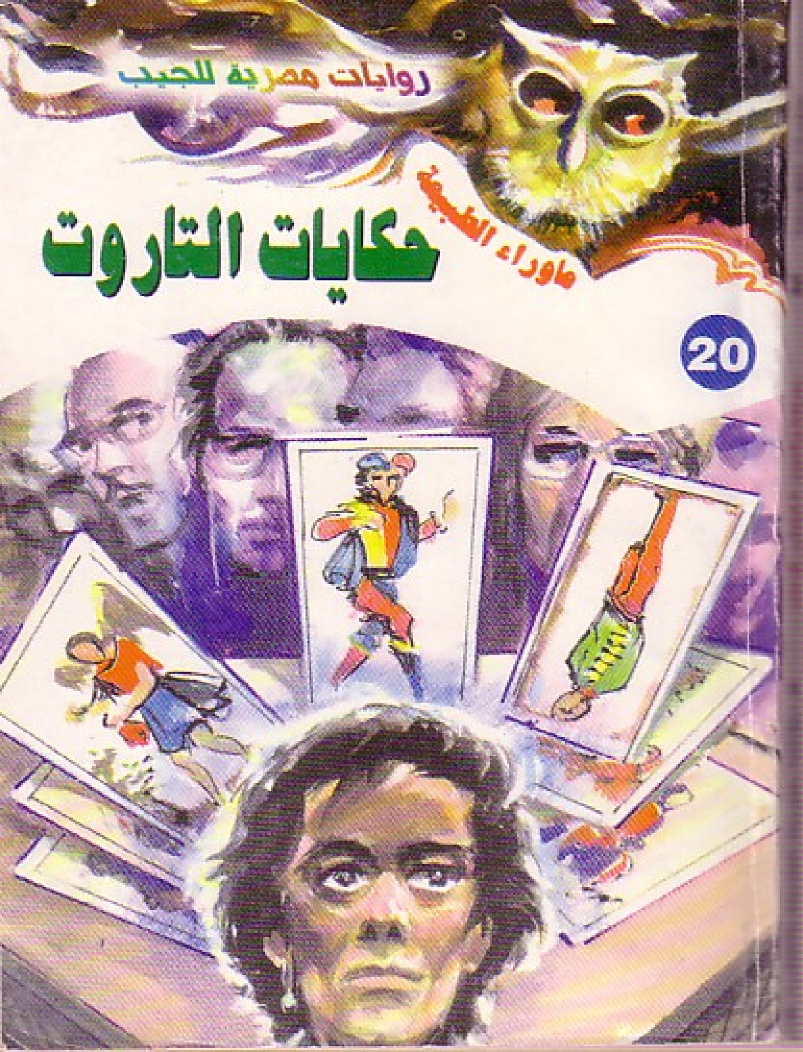

روايات مصرية للجيب
ماوراء الطبيعة
حكايات التاروت
20

حكايات التاروت

لم أكن قد غادرت الولايات المتحدة بعد ..

كنت أمضى أيامى مع صديقى المحامى الأمريكى (جيرى) بعد تلك التجربة النفسية المروعة التى عشتها مع قصص (إدجار آلان بو) .. والتى لم أفهم قط هل كانت هلوسة شديدة ، أم هى تجربة روحانية نادرة الطراز ..

وطبعًا – أنت تلاحظ أنه لم يأت بعد – لحق بى صديقى العتيد (هارى شيلدون) خبير الكمبيوتر الشاب قادمًا من (فلوريدا) .. فمن الصعب أن أمرّ على الولايات المتحدة مرّ الكرام دون أن ألقاه ..

وحتى هذه اللحظة لست واثقًا من هو النحس الحقيقى .. أنا أم هو .. فما إن يظهر الأخ (هارى) حتى يتحرش بنا (الزومبى) وتلاحقنا لعنة (شاكال) اللعين .. وكل مسوخ الأرض ..

كان مرحًا كعهدى به . وأمضينا أيامًا لا بأس بها نسترجع الذكريات التى قلّ أن تكون لدى واحد آخر سوانا ..

عرف حكايتى مع النبات القاتل والكاهن الأخير

و (براسكا) حسناء المقبرة .. على أن أشدّ ما أثار اهتمامه هو قصتى مع (إدجار آلان بو) ، خاصة حين عرف أننى عشت تفاصيل قصص لا أذكر أننى قرأتها قط ..

وبمراجعة مجمع أعمال الأديب الأمريكى العظيم استطاع أن يجد كل ما تكلمت عنه .. ، لقد استطاع (بو) أن يقودنى إلى عالمه الخاص لا مراء فى هذا ..

وطلب منى (هارى) أن أصحبه ليلقى ذلك الدجّال (سام كولبى) ، فهو يثير شغفه حقًا ..

وفى ليلة صيف باسمة ركبنا إحدى سيارات أجرة (نيويورك) الصفراء المجنونة قاصدين بيت الرجل ..

استقبلنا الرجل بملامحه الودود الطفولية التى مازالت تثير الهلع فى قلبى ، فأشرق وجهه حين رآنى ودعانى إلى الداخل متحمسًا .. صحيح أننا جئنا على غير ميعاد ، لكننى صرت شخصًا عظيم الأهمية يستحق أن يفتح له صالة كبار الزوار لو أن عنده واحدة ..

قمت بتعريفه بصديقى (هارى) وأخبرته أن (جيرى) غارق فى الأعمال فلم يستطع المجىء .. ثم دخلنا المنزل الكئيب .. كان كما هو لم يتغير بعد ..

وعلى المائدة المستديرة كانت هناك علبتان من الطعام

المحفوظ وطبق وقدح من الشيكولاتة يتصاعد منه الدخان ..

فى حماس ذهب الرجل القمىء إلى رزمة من المجلات فى ركن الغرفة ، فأخرج منها واحدة وفتحها على صفحة معينة وطواها وهرع نحوى ليرينى إياها ..

كانت هناك صورة فوتوغرافية لذلك الإقرار الذى كتبته له بخطى ، وعنوان المقالة الرنان يقول : طبيب يعترف بمبدأ التناسخ — (كولبى) يصف تجربته الخاصة ..

استشطت غضبًا .. وقلت من بين أسنانى :

ـ لكنى لم أقر مبدأ التناسخ لحظة .. إن ما كتبته يقول إننى عشت تجربة غير عادية لا أدرى كنهها ..

تساءل (هارى) وهو يتأمل غلاف المجلة :

ـ مجلة (ماجيك) ؟.. ياللطباعة الرديئة !.. واضح أنها لا تلقى رواجًا كبيرًا .. وأنت يا (رفعت) .. كيف سمحت لنفسك أن تنخرط فى هذا الهراء ؟

قلت وقد احمرت أذناى :

ـ لم أنخرط فيه .. لكنها شهادة حق سمحت لنفسى أن أقولها .. وما كنت لأقول سوى ما رأيت وعرفت ..

هتف (كولبى) فى حماس :

ـ لقد أحدث المقال دويًا فى أوساط المهتمين بالروحانيات ونشر مرتين .. وسرّ نجاحه يعود لأن موضوع التجربة هذه المرة ليس معتوهًا ضعيف الإرادة .. بل هو رجل مثقف ناضج يسره بالتأكيد أن يثبت أننى نصاب !

ـ أنت كذلك ! ـ قلتها وأنا أعيد له المجلة ـ وأعتقد أن كل شىء غريب رأيته لم يكن لك فضل فيه .. لقد كنت تقتلنى بتجربتك المخبولة تلك .. لكن لتقل إنك كنت إشارة البدء التى نقلتنى إلى عالم لا يصدق ..

هتف غير مبال بالإهانة :

ـ إنه المجد ! .. أنت نقلتنى إلى عالم لا يصدق من الشهرة والاحترام العلمى .. واليوم أنا مدعو إلى (نادى السحر) باعتبارى ضيف شرف .. والفضل لك ..

غمغم (هارى) وهو يجلس على أحد المقاعد واضعًا يديه فى جيبه :

ـ نادى السحر ؟.. اسم غريب !.. وهل هذا النادى يقدم لضيوفه حساء أجنحة الخفافيش فى جماجم بشرية ؟ وهل تتسلون هناك بذبح الأطفال الرضّع ؟

أطلق (كولبى) صرخة احتجاج .. وهتف :

ـ لا تكن سخيفًا يا مستر (شلدون) .. إن هذه

الفكرة الصبيانية عن السحر لا تليق بك بل بقراء القصص المصورة ..

ـ فى رأيى أن القصص المصورة أكثر احترامًا .. فأنا خبير (كمبيوتر) يا سيد (كولبى) .. ولا أتعامل إلا مع الحقائق الملموسة والمقدمات التى تقود إلى نتائج .. ولو أننى فتحت ذاكرة (الكمبيوتر) اليوم ووجدت برنامجًا لم يكتبه أحد فإننى لعلى استعداد أن أومن بسحرك هذا ..

اتسعت عينا (كولبى) وفيهما ارتسمت نظرة حالمة ، أقسم إن الرقة الرومانسية غزت سمنته الكريهة ..

قال فى افتتان :

ـ لا يهمنى رأيك كثيرًا برغم احترامى له .. اليوم يجلس سحرة الولايات المتحدة يستمعون لى وأنا أتكلم .. وهذا هو كل ما أبغى من الكون ..

قلت وأنا أشعل لفافة تبغ وأتخذ مقعدًا :

ـ كنت أظن السحر والروحانيات موضوعين منفصلين ..

ـ إن السحر هو ...

ثم تقلص وجهه ألمًا .. وهتف :

ـ معذرة .. الحمام .. إنها (البروستاتا) كما تعلمان ..

وغادرنا مسرعًا كعادته ، فنظر إلىّ (هارى) مندهشًا ولسان حاله يقول :

ـ ماذا دها هذا الرجل ؟

قلت له بلا مبالاة :

ـ لا عليك .. إن (بروستاتا) هذا الرجل صارت موضوع الساعة بالنسبة لمن يزوره أو يحاول فهم حرف من كلامه ..

بعد ثوان عاد الرجل من الحمام وقد بدت عليه معالم الارتياح .. وقال وهو يجرع ما بقى فى القدح من (شيكولاتة) .

ـ كنت أقول إن السحر والروحانيات وعلم (الباراسيكولوجى) كلها مسميات توضع فى خزانة واحدة هى (الميتافيزيكس) أو علوم ما وراء الطبيعة .. نحن فى هذا المجال أبناء عمومة .. ونحن نلتقى فى بيت الأسرة الكبير المسمى (نادى السحر) من حين لآخر ليلقى كل منا محاضرة عما عرفه أخيرًا فى هذا المجال ..

ثم التمعت عيناه .. ببريق مجنون .. وهتف :

ـ هل تحبان أن تحضرا أحد هذه الاجتماعات ؟

قلت له وأنا أتأمل السمكتين تسبحان فى حوضهما

غير عابئتين بشىء من هذا الهراء :

ـ بلى .. لكننى كنت أحسب هذه الاجتماعات مقصورة على الصفوة .. أعنى أنه يجب أن تكون معك بطاقة تعريف أو تحمل معك قبعة فيها أرنب أو شيئًا من هذا القبيل ..

ـ لا شىء من هذا .. ! ـ قال وهو يطوح رأسه يمينًا ويسارًا :

ـ المهم أن تترك معتقداتك البالية فى دارك لا أكثر ولا أقل ..

ـ من الممكن أن أفعل هذا ..

نظر إلى الساعة على الحائط .. وقارنها بساعة جيب عتيقة أخرجها من صدار بذلته .. ثم قال :

ـ ليكن .. إن الحفل يبدأ بعد نصف ساعة .. فاستعدا لكى نذهب .. نصيحة يا مستر (شلدون) .. أتوسل إليك أن تتجاهل طريقتك العدائية الهجومية بعض الوقت إذ هناك من لا يحبون هذا ممن نحن ذاهبون إليهم .. احتفظ لنفسك بعقليتك الجدلية النقدية بعض الوقت وأعدك أن تعرف أكثر ..

* * *

كان اللقاء فى شقة فاخرة فى حى (بارك أفنيو) .

مجموعة من الخدم الذين يرتدون زيًا موحدًا يهرعون هنا وهناك حاملين أقداح الشراب .. وفى صدر القاعة مائدة هائلة عليها وعاء ضخم مزركش يحوى شرابًا ينقلونه إلى الأقداح بمغرفة كبيرة ـ مثلما يفعلون فى حفلات الكوكتيل ـ جوار عشرات الأصناف التى يستحيل أن تعرف كنهها بالضبط ..

ثمة شىء شبيه بديناصور مذبوح جواره شوكة وسكين ـ عرفت فيما بعد أنه ديك رومى عملاق ـ وأطباق ملأى بأشياء يمكن أن تكون عيونًا مقلوعة أو صراصير محمرة أو أنوفًا بالصلصة ..

لن أفهم أسلوب الطهى الأمريكى أبدًا ..

وعليك ـ أنا لن أفعل هذا ما حييت ـ أن تنقل إلى طبقك عدة أصناف من هذه الأشياء المرعبة لتلتهمها بلذة فى المكان الذى اخترته لنفسك ..

ناديت (هارى) وطلبت منه أن ينتقى لى شيئًا آكله .. شيئًا ليس مخنوقًا ولا موقوذًا ، ولم يُطبخ بالخمر ، ولا يحوى لحم الخنزير ، ولا يحوى تعويذة سحرية ما ، ولا يثير منظره الذعر فى قلبى !

نظر لى فى حيرة :

ـ المهمة عسيرة .. فأنا نفسى أجد صعوبة فى انتقاء

شىء مأمون ..

ثم أشرق وجهه بابتسامة عذبة وقال :

ـ لحظة !.. وجدت لك الحل السعيد !

ومدّ يده ونقل إلى طبقى عودين من الكرفس .. !

* * *

بفمٍ ملىء بالكرفس شرعت أتأمل المكان ..

كانت الموسيقا العذبة ـ المصنف العاشر لأحدهم ـ تنبعث من لا مكان .. كأنما هى الكل الذى نحن فيه ، حيلة بارعة كما ترى .. ولابد أن السماعات مدفونة فى مكان ما تحت أقدامنا .. ، حتى الإضاءة ذاتها تأتى من لا مكان .. الجدران ذاتها تضىء بلون أزرق خافت يبعث الانتعاش فى روحك ..

فى البدء شعرت بالخجل لأننى الوحيد الذى لا يرتدى (الفراك) فى هذا الحفل المنشّى (بالمناسبة ، أرجو أن يفتينى أحدكم عن كنه الفراك بالضبط حتى أشترى لنفسى واحدًا فى الحفلات القادمة) .

ثم بدأ خجلى ينزاح حين رأيت شبانًا يرتدون (الجينز) ، ورجالا يرتدون بذلات أقل ما يقال عنها إنها أسوأ من بذلتى ..

لقد كان طابع هذا الحفل هو البساطة والبذخ .. البساطة فى التقاليد .. والبذخ فى الإمكانيات ..

وحتى هذه اللحظة لا يوجد شىء غير عادى ..

كانت هناك فتيات ترتدين ثياب السهرة ويرحن هنا وهناك متظاهرات بالمرح والانطلاق ، وكان هناك رجال واضح أنهم بلغوا الذروة فى الثراء أو علوّ المناصب .. يحيط بهم ـ إذ وقفوا معتدين بأنفسهم ـ رجال ونساء يتظاهرون بالاهتمام المتصوف بما يقال .. كأن ثراء الإنسان يكفى لجعله أحكم الحكماء ..

الخلاصة أنه جو مقيت ..

وأنا يا رفاق خفاش آدمى .. أهوى الظلام والوحدة وأمقت الأضواء والناس ، وسرّ حبى الوحيد للحفلات هو أننى آكل فيها كالحيتان .. لذلك لا تتوقعوا منى أن أحب هذا الحفل الذى لم أظفر فيه سوى بعودين من الكرفس ..

ولكن أين (هارى) وسط هذه الفوضى ؟

آه !.. هو ذا واقف يتحدث مع شقراء لا ترتدى شيئًا تقريبًا ..

كنت أظن أن هذه الأساليب المراهقة بعيدة عن رجل متزوج من امرأة حسناء تحبه .. لكنى كنت مخطئًا على ما أظن ..

وأين (كولبى) فى كل هذا ؟

ها هوذا .. ضيف الشرف المرتقب للحفل .. إنه يمشى هنا وهناك بثيابه البالية يمازح هذا ويكلم ذاك .. لكن من الواضح أن أحدًا لا يعبأ به بتاتًا .. إنه مجرد رجل مضحك يثير الشفقة لا أكثر ولا أقل .

بالطبع كان يختفى من حين لآخر عن ناظرى .. إنها البروستاتا كما تعلمون .. لو أن هناك جمعية لهواة التبوّل لصار هذا الرجل رئيسها الشرفى .. إننى أضمن له هذا على الأقل ..

ولكن ..

أين السحر وسط كل هذا ؟..

إن هى إلا حفلة مرحة أخرى .. صحيح أننى لم أر مثلها إلا فى السينما ، لكننى أشعر بالملل وكأننى أفنيت عمرى كله فى حفلات مماثلة .. لهذا اتجهت بثقة إلى (البوفيه) المفتوح فملأت طبقى بالكرفس .. ثم اتجهت إلى أريكة وثيرة أمامها مائدة صغيرة .. فأرحت جسدى عليها وأشعلت لفافة تبغ ، وأخذت أتسلى بإلقاء الرماد على السجادة الفاخرة ، وأراقب هؤلاء البلهاء ..

* * *

كانت عقارب الساعة تتجه نحو الحادية عشرة مساء ..

حين ظهر رجل فى العقد السادس من عمره .. متأنق .. أشيب الشعر .. يرتدى منظارًا معلقًا إلى صدره بسلسلة ذهبية ..

ظهر هذا الرجل يشق طريقه بين زحام القوم المتمايلين والمتمايلات حتى وجد لنفسه موضع قدم .. ثم صاح بصوت جهورى معدنى :

ـ هيرى هيرى (*)

فساد الصمت إلا من نغمات البيانو القادمة من لا مكان.

ـ يسرّنى ـ أنا رئيس رابطة سحرة (نيويورك) ـ أن أقدم لكم ضيف حفلنا الليلة ..

نظرت بطرف عينى إلى (كولبى) .. فوجدته وقد احتقن وجهه .. ولا شعوريًا شرع يحك حذاءه فى ساق بنطاله ليزداد لمعانًا .. ثم يتقدم إلى الأمام .. إنها لحظته المنتظرة ..

ـ إنه لرجل فذ .. وهو شرف مهنتنا بعطائه الذى لا يكلّ ، وجهوده المخلصة من أجل علوم ما وراء الطبيعة ..

(*) (اسمعوا وعوا) هكذا كان المنادون فى الأسواق يجمعون القوم ..

ويتقدم (كولبى) عبر الصفوف يزيح هذه .. ويبعد هذا قاصدًا مركز الحلقة ، حيث وقف الرئيس يقول :

ـ أعرف أنكم لستم جميعًا من المهنة .. بعضكم ضيوف عليها .. وبعضكم لم يسمع عن هذا الرجل العظيم !.

وهنا كان (كولبى) قد وصل إلى الرئيس .. ومد يده نحوه ..

ـ أرجوكم جميعًا أن تحيُوا ... الدكتور (لوسيفر) !!

وتعالى صوت التصفيق على حين شرع (كولبى) يدور بعينيه فى بلاهة .. إذن لم يكن هو المقصود .. إذن ..

شعرت برغبة عارمة فى الضحك مازجتها الشفقة .. كلنا يعرف هذا الشعور المرير .. هوذا (كولبى) ينسحب وقد بدا لى كأنما صار عاجزًا عن رفع كتفيه لأعلى .. سقطتا إلى جانبه على شكل رقم (٨) .. واحمرت أذناه أكثر فأكثر ، على حين شرع الجمع ـ الذى لم يلحظ سوء التفاهم هذا ـ يردد الأغنية الشهيرة فى حفلات التكريم :

« لأنه رجل لطيف طيب .. لأنه رجل لطيف طيب .. ولا أحد ينكر ذلك .. »

وهنا لم أعد أنظر إلى (كولبى) ..

تركزت عيناى على ذلك الرجل النحيل الذى يرتدى السواد والذى وقف يحيى الناس جوار الرئيس ..

طويل القامة كان .. كل مافيه أسود .. شعره .. ثيابه .. لون عينيه .. على عنقه قلادة ذهبية هائلة الحجم .. وفى أصابع يديه عدد من الخواتم الماسية يفوق قدرتى على العدّ .. ، وكان هناك قرط يتدلى من أذنه اليمنى (ولم أكن قد رأيت من يرتدى القرط بين الرجال فى ذلك الوقت) ..

كان رهيبًا .. وأدركت أنه يستغل هذا الإيحاء خير استخدام .. لقد أدرك أن له طابعًا شيطانيًا لا تخطئه العين ، لهذا استكمل هذا الطابع بانتقاء الثياب السوداء وتسمية نفسه باسم (لوسيفر) الاسم اللاتينى للشيطان .. اسم معناه (أمير البهاء) لأن الكبرياء تقود إلى الهلاك ..

شعرت بكراهية له من اللحظة الأولى ، وتمنيت أن أرحل أنا و (هارى) الآن ..

لكن شيئًا فى أعماقى أمرنى أن أنتظر وحتى يفرغ هذا المخبول من كلامه .. لابد أن أعرف الشىء الذى منحه كل هذا (البرستيج) بين أقرانه .. كل السحرة

يخرجون أرنبًا من القبعة ، فهل هو يخرج منها أفراس نهر ؟!.. كل السحرة يشطرون المرأة إلى نصفين فهل هو يشطرها إلى ثلاثة ؟!..

على أننى كنت مخطئًا هنا حين خلطت بين السحر (الاستعراضى) الذى يؤدى على المسارح ، والسحر الخفى الذى يمارس فى غرف مغلقة ..

فالنوع الأول معروف ودائمًا ما ينكشف عن ألعاب حواة تافهة .

أما النوع الثانى فلا أعرف عنه حرفًا ..

رأيت هذا المدعى يرفع يده لتهدأ الجلبة .. ثم يقول :

ـ سرنى هذا الترحيب !

كان صوته كمظهره .. أسود .. قاتمًا .. كليبًا .. ، على أن له سحرًا مغناطيسيًا غامضًا يجعلك تود لو سمعت أكثر .. ، صوته كان أشبه بتلك النبرات الرتيبة التى تخرج من حنجرة الببر القوية حين يغفو بعد أن التهم فريسته بالكامل ..

ـ إننى أجد قلوبًا مخلصة ملأى بالحبّ فى هذا المكان .

حبّ ؟.. عمّ يتحدث هذا المعتوه ؟..

لكننى لاحظت نبرة صوته واللهجة الأجنبية الواضحة فى كلماته .. واضح أنه ليس أمريكيًا .. ربما هو من



تركزت عيناى على ذلك الرجل النحيل الذى يرتدى السواد والذى وقف يحيى الناس جوار الرئيس ..

(أوروبا) الشرقية أو (روسيا) أو شىء من هذا القبيل ..

كما لاحظت أنه فى العقد الخامس من العمر مثلى ..

ـ عودوا لمرحكم .. أما عنى أنا فلسوف أجلس فى صومعة الأحلام مع مستر (كلارتون) مضيفنا الكريم .. فمن أراد أن يلحق بى هناك فيه أسعد .. وله قلبى يطرب .. أما الآخرون فهم سعداء من أجله .

واستدار ليتجه إلى حجرة جانبيه ومعه رئيس الرابطة الذى عرفت الآن أنه صاحب الدار وأن اسمه (كلارتون) .

لم يفتنى كذلك أن ألاحظ الأسلوب الغريب الذى تكلم به على غرار (به أسعد) و (له قلبى يطرب) ليعطى كلماته طابعًا غريبًا يوشك أن يكون كنبوءات العرافين ..

إن (كولبى) نموذج للنصّاب الأبله .. أما (لوسيفر) فهو من طراز راق شديد البراعة .. إنه النصّاب نجم المجتمعات .. ولن أدهش لو كان ثراؤه واسعًا كحيلته .

عاد الحفل إلى صخبه السابق .. الضحكات الأنثوية تدوى .. والخدم يروحون هنا وهناك ..

(هارى) يأتى إلىّ ـ لا أدرى من أين ـ ليقول لى وهو يجرع كأسه :

ـ هل معك لفافة تبغ ؟..

ـ أظن هذا .. حسبتك لا تدخن .

ـ أنا كذلك .. تلك الشقراء طلبت أن أقدم لها واحدة !

ـ عليك اللعنة !.. أنا أمقت هؤلاء الكرماء على حسابى .. خذ العلبة كلها ولكن أعدها لى ..

قال وهو يدسّ العلبة فى جيبه :

ـ ما رأيك فى هذا الجو المسموم ؟

ـ عرفنا ألعن منه مع سحرة (الفودو) فى تلك الليلة .. هل نسيت ؟

ـ وكيف أنسى ؟.. قل لى .. لماذا لا نتبع هذا المخبول إلى صومعته كما قال ؟..

ـ لا !..

ـ لكنك مولع بالتجارب الجديدة .. إن الفضول يقتلنى .. هيه !..

لحظة يا صغيرتى !.. لقد أحضرت لك سجائرك ..

وهنا دنا منى (سام كولبى) .. قصيرًا تعسًا مبعثر الهندام .. وفى عينيه نظرة من يرجونى أن أنسى ما حدث .. قال لى :

ـ كذا ترى ! ـ وتنهد ـ إنه لجو غير عادى !

ـ لا أرى شيئًا غير عادى .. مجرد حفل صاخب على درجة من التحرر ..

- هذا لأنك لم تدخل الصومعة !

نظرت فى عينيه البرينتين ، فوجدت دعوة لا تحتاج إلى ترجمة .. إنه يتحرق شوقًا كى يلحق بهذا الـ (لوسيفر) فى اجتماعه الخاص .. وأنا حقًا لا أرغب فى أن أرى هذا النصّاب مرة أخرى .. أريد العودة إلى دارى وآخذ حمامًا فالنوم .. أرجوك .. أريد أن آكل شيئًا عوضًا عن الكرفس ...

وهنا رأيت (هارى) عائدًا لى حاملاً علبة التبغ وبحنق صاح :

- أنت وسجائرك !.. كالعادة تستعمل أرخص نوع من التبغ على الإطلاق .. لقد كادت الفتاة تموت بالالتهاب الرئوى بعد نفسين !

- لم أطلب منها أن تحب سجائرى .

قال وهو يتأبط ذراعى وذراع (كولبى) :

- والآن دعونا من هذا الهراء .. هلما بنا نر هذا النصّاب !

رفعت يدى فى احتجاج صامت ، لكن (كولبى) هو الآخر كان متحمسًا ووجدت أننى - فى الواقع - أُدفع إلى الداخل دفعًا ..

ماذا ستخسر - قالا لى - لو ألقيت نظرة ؟.. لقد وعد

الرجل أنه (بنا يسعد) و (لنا قلبه يطرب) فماذا لو منحناه هذه السعادة ؟ ثم إنك لا تعرف (لوسيفر) .. إنه لرجل يسيطر على مفاتيح السحر كلها - والكلام لـ (كولبى) - وهو ليس نصّابًا كأكثر العاملين بهذه المهنة القذرة .. وبمعنى أقرب إلى فهمكما ..

- إنه لرجل يعرف ما يتكلم عنه !

وهكذا سمحت لنفسى - هذه المرة فقط - أن أدخل صومعة الدكتور (لوسيفر) .. وكما تعرفون عنى : كنت ماذا ؟.. ساذجًا .. ساذجًا ..

* * *

رائحة البخور هذه ...

رائحة البخور تفوح بها الغرفة ، الغرفة التى يسودها لون أخضرغريب ، فلم أكن واثقًا هل هو انعكاس من الجدران ، أم أن هناك مصدرًا للضوء الأخضر ؟

الزخارف الشرقية تملأ المكان .. وثمة مبخرة تتدلّى من السقف ، على حين تناثرت النوافذ (الأرابيسك) الموصدة فى أرجاء القاعة ..

حتى السجاد كان إيرانيًا سميكًا غاصت فيه أقدامنا حتى كاحلها .. لقد حرص من أثث هذه الحجرة على

افتعال طابع عربى من الذى يثير خيال الأمريكان .. حتى أنهم وضعوا زنجيًا عارى الجذع إلا من صدرية مذهبة جوار الباب الذى تغطيه الستائر ليوحوا للداخلين أن هذا عبد من عبيد ألف ليلة وليلة ..

وكانت هناك جارية حسناء تحمل (الدلّه) تطوف بها على الجالسين تملأ أقداحهم بشىء أعتقد أنه قهوة .

هذه هى الصومعة إذن ، وسمعت صوت البير يزأر :

ـ مرحبًا بك يا (كولبى) أنت ود . (رفعت) ومستر (شلدون) !

ارتجفت لهذه البداية وكدت أومن أنها معجزة .. ثم تذكرت أن (كولبى) الثرثار بالتأكيد قد حكا للرجل كل شىء عنا ..

كانوا جالسين على الأرض على طنافس عربية موشاة بالذهب .. حول ما يشبه (طبلية) صغيرة مسدسة الزوايا ، كأنما خرجت من تحت يد أفضل صانعى (خان الخليلى) ، لكنه دائمًا ذلك الجو الشرقى المفتعل الذى لا يجيد الغربيون محاكاته .. فهم لا يعرفون عنا سوى قصص ألف ليلة وليلة ولوحات (ديلاكروا) ..

الضوء الأخضر الساطع يغلف الوجوه .. دنوت من المجلس واخترت إحدى الطنافس وتربعت عليها ..

وجلس (هارى) إلى يمينى و (كولبى) إلى يسارى .. وشرعنا نتأمل الجالسين .. كانوا خمسة بالإضافة إلى (لوسيفر) والأخ (كلارتون) .. وبعد دقائق دخلت الغرفة امرأتان فجلستا إلى المائدة معنا .. إحداهما شابة لا بأس بها والأخرى عجوز لابد أنها فقدت طفلها فى حروب (الهكسوس) ..

ظل الصمت هو السائد بضع دقائق ..

لا نفعل شيئًا سوى أن نتبادل النظرات .. متى ينتهى هذا الهراء ؟.. ثم إن (لوسيفر) بدأ يتكلم .. بصوت بطىء النبرات عميقها ، يتكلم .. عن أى شىء بالضبط ؟.. لا أدرى فى الواقع .. مجرد كلام فارغ لا أول له ولا آخر عن وحدة الكون والعقيدة (المانوية) والوصول إلى الحقيقة عن طريق فهم أنفسنا أكثر .. إلخ ...

ملت على أذن (كولبى) هامسًا :

ـ هذا المخبول .. هل هو ساحر أم عراف أم مدعى نبوة من الذين تزخر بهم بلادكم ، والذين فى بلدى يحملونهم إلى أقرب مصحة عقلية حيث تتكفل بعض صدمات كهربية بشفائهم تمامًا ؟!

ـ حنانيك .. لا تسخر منه إنه ..

وهنا دوى صوت الببر :

ـ أنا عالم يا د. (رفعت) !.. لا أكثر ولا أقل !!

رفعت عينى نحوه فوجدته يرمقنى بعينيه السوداوين الثابتتين .. ما أقواهما من عينين !.. كأنهما خلقتا للتنويم المغناطيسى .. وسمعته يقول وهو يرفع شيئًا ما فى قبضته :

ـ هل سمعت عن أوراق (التاروت) ؟

تأملت الأوراق التى يقبض عليها فى قبضته .. بالطبع سمعت عنها وبالتأكيد أعرفها .. هل أنسى الأم (مارشا) فى (جامايكا) ونبوءتها عن القلعة والتراب الأحمر ؟.. أعرف هذه الأوراق برسومها المشئومة ، لكنى لا أعرف شيئًا عن مغزاها ولا معناها ..

قال د . (لوسيفر) وهو يجيل عينيه بين الجالسين :

ـ هناك من يؤكد أن كلمة (تاروت) مأخوذة من الكلمة الهيروغليفية (تاروش) ومعناها : الطريق الملكى .. ومن يؤكد أنها مأخوذة من كلمة (روتارو) اللاتينية ومعناها : الدائرة .. لقد حاول الكثيرون معرفة متى وكيف نشأت هذه الأوراق لكن الجميع فشل فى ذلك .

قال صاحب الدار (كلارتون) وهو يرفع منظاره إلى أنفه :

ـ فى كتاب (العالم البدائى) يزعم مؤلفه (كورت) أن هذه الأوراق ظهرت فى (أوروبا) فى القرن الرابع عشر .. لكنها ظهرت فى الشرق قبل ذلك بعهد سحيق .. ربما كانت تعود إلى عهد الفراعنة أنفسهم ..

قال أحد الجالسين وهو رجل أسمر له وجه كئيب ممتقع :

ـ إن (ستيوارت كابلان) عاكف الآن على كتابة كتاب (أوراق التاروت) يتحدث فيه عن لغز هذه الأوراق(*) .

دون كياسة تساءلت أنا عاجزًا عن الفهم :

ـ لا أفهم .. ما هى جدوى هذه الأوراق أصلاً ؟.. أليست نوعًا من (فتح الكوتشينة) لا أكثر ؟

تحركت العينان الثاقبتان نحوى .. وسمعت صوت الحشرجة :

ـ ليس الأمر بهذه البساطة .. لقد عكف الدكتور (يونج) تلميذ (فرويد) الشهير على دراستها ثم أعلن رأيه : إن (التاروت) هو أسلوب لتنمية الحدس واتباع منهج عملى يلائم وجود الإنسان فى هذا الكون .. ،

(*) بالفعل صدر هذا الكتاب بعد عامين .. وبعده بعامين آخرين صدر كتاب الإنجليزى (ألفريد دوجلاس) .

والعالم الإنجليزى (ليفى) يقول : إن (التاروت) يتيح لمن لم ير العالم قط أن يمتلك المعرفة الكاملة بالكون ويتحدث في كل المواضيع ببراعة ..

بالمناسبة .. أنت مصرى يا د. (رفعت) وكان من واجبك أنت أن تحدثنا عن (التاروت) على حين نصغى لك .. إن (التاروت) فى الغالب اختراع فرعونى قديم ..

أضاف (كلارتون) فى حماس موجهًا الكلام لى :

ـ يزعمون أن كهنة مصر دونوا فيها كل أسرار حضارتهم التى أحسوا بقرب اندثارها .. وكان ذلك فى العام الألف قبل المسيح ..

تساءلت الفتاة بصوت بدا التوتر يغزوه :

ـ وكيف وصل (التاروت) إلى أوربا ؟.

ـ وصل إلى (انجلترا) مع طوائف الغجر .. وصنع أول (تاروت) بها فى عهد الملك (هنرى الثامن) ..

وهنا قطع (هارى) خيط الكلام ليتساءل :

ـ دعونا من تاريخ هذه الأوراق .. ما الذى تنتويه بالضبط ؟

شاعت ابتسامة غامضة فى وجه د . (لوسيفر) وشرع (يفنط) الأوراق دون أن ينظر إليها .. ثم أجاب :

ـ أنوى أن آخذكم إلى رحلة نادرة خارقة للعادة .. وأداتى هى (التاروت) .. كان لابد لى من أن أخبركم بشىء عنه قبل أن أبدأ .. والآن من سيكون الأول ؟!

ساد الصمت ..

فملت على أذن (كولبى) هامسًا :

ـ من هو د . (لوسيفر) هذا ؟

قال هامسًا دون أن يحوّل بصره عن المشهد :

ـ لا أحد يعرف .. يقولون إنه من (المجر) وإن اسمه (فرانتز لوسيفر) .. وقد جاء إلى (الولايات) منذ ثلاثة شهور .. ويقال إنه أثار حيرة الجميع بما يصنعه بهذا (التاروت) .. حتى أن مستر (كلارتون) الذى لم يعد شىء يبهره ، قد استضافه عنده بصورة دائمة وأعد له هذه الغرفة خصيصًا ..

ـ يسأل عن الأول .. الأول فى ماذا بالضبط ؟

ـ لا أدرى .. ربما سيرينا بعض قدراته التنبؤية ..

وببطء شديد دارت عينا الرجل الثاقبتان بين صفوفنا ..

خطر لى فى هذه اللحظة مدى سخف ملاحظتى حول العينين القويتين ، فالعينان وحدهما غير قادرتين على التعبير عن شىء .. كل ما تملكانه هو أن تتسعا لتوحيا بالرعب أو تضيقا لتوحيا بالمكر ، الحاجبان هما ما يعطى

العينين تأثيرهما الكامل .. ، هما ما يعطى العينين إيحاء الطيبة والضعف ، ويعطيانها إيحاء الحزن ، ويعطيانها إيحاء الشرّ ..

المخيف فى هذا الـ (لوسيفر) أن عينيه لم يكن فوقهما سوى حاجبين مسطحين أفقيين لا ينمّان عن شيء .. وهذا فى حدّ ذاته يثير الرعب فى قلبى ..

صوت البير الراضى عن شبعه يتردّد :

ـ الحق أقول لكم إننى لواجد بينكم من يستحق شفقتى .. إن بينكم يا إخوان من لا يصدّق .. فله الحسرة تغمرنى ، وبينكم من يسخر .. فمنه أشعر بالحنق ، وبينكم من لا يبالى .. فإليه نصحى أن يعيرنى أذنيه الفانيتين بعض الوقت .

شعرت بالتوتر .. فأنا أمتاز عن الآخرين بأننى قابل للدخول فى كل هذه القوائم .. أنا بالفعل لا أصدق ولا أبالى وأسخر !.. وبالتالى أنا سببت للرجل الحسرة والحنق وواجبى أن أعيره أذنى الفانيتين بعض الوقت !.

نظر لى د . (لوسيفر) نظرة باردة .. وجرع قدح القهوة الذى كان أمامه .. وأشار إلى ما وراء كتفى ..

ـ لا !

قلتها فى إصرار ، إذ رأيت الجارية آتية إلىّ حاملة

(الدلّه) لتصب لى بعض القهوة في فنجاني .. تلبية لإشارته ..

والسبب معروف .. بعد تجربتي السابقة مع (كولبى) لا أجد لدىّ استعدادًا كي أشرب شيئًا ما قد يحوى عقار هلوسة ، أو شيئًا مماثلاً ..

أريد أن أكون بكامل قواي العقلية لأرى ما سيحدث .. إذا كان هناك ما سيحدث حقًا ..

ثم إن د. (لوسيفر) واصل الكلام :

ـ إن لى أن أفترض أن من لحقوا بى يريدون أن يعوا المزيد عن غدهم .. وإنه لمما يثير دهشتى أن أرى ـ بالصدفة ـ هذا الحشد من ذوى المصائر المكفهرة .. كلكم تريدون بصيصًا من الغد .. وليس من الحكمة أن تروا هذا المصير .. فهل حقًا أنتم على ذلك عازمون ؟!

ساد الصمت هنيهة ..

لم أعتد من قبل أن أرى عرافًا يقول (لزبائنه) إن مصيرهم أسود وأن غدهم قاتم .. من المعتاد أن يقول لهم إن كل شيء تمام وإن الأيام القادمة هى أسعد الأيام .

على كل حال أنا لا أومن بهذا الهراء .. ورأيى هنا صارم لا يتزحزح ، لا يوجد تنبؤ بالغيب لدى بشر .. ولو أن هذا النصاب كان يعلم الغيب حقًا لصار حاكم العالم بعد أسبوع ..

إن الإنسان الذى يعرف الغيب لقادر على أن يكسب كل أوراق اليانصيب ، ويعرف أين تتوقف الكرة فى لعبة (الروليت) ، ويعرف كل الخطط الحربية وأرقام حسابات البنوك وأسئلة امتحان الثانوية العامة ..! ، إنسان كهذا لن يجلس فى غرفة يشرب القهوة ويحاول أن يبهرنا ..

قطعت المرأة العجوز حبل أفكارى قائلة بصوت رفيع مرتجف :

ـ إنك أثرت فضولنا يا د . (لوسيفر) .. هل تعنى أن كل الجالسين هنا مستقبلهم قاتم ؟.. ما سر هذه المصادفة ؟

ابتسم ابتسامته الغامضة وقال :

ـ لأن كل الجالسين هنا ـ أو أكثرهم ـ من اللاعبين بالنار .. لا مصادفة هنالك فى أن يحتشد فى مكان واحد عدد ممن ستحترق أناملهم ..

تنتهدت المرأة .. وغمغمت :

ـ أنت تثير رعبى بكل هذا .. ولا يسعنى إلا أن أطلب منك أن أكون الأولى ..

ومدت العجوز يدها نحو د. (لوسيفر) فناولها الأوراق ، وطلب إليها أن تخلطها بنفسها .. فهو يريد

أن يلقح الأوراق كلها بمغناطيسية الشخصية ، وأن تكرس تفكيرها كله لمحتوى هذه الأوراق ..

وفى أذنى همس (كولبى) :

ـ تتكون أوراق (التاروت) من ٧٨ ورقة فى صورتها الكاملة ، منها ٥٦ ورقة تدعى (السر الأصغر) هى التى ولدت منها أوراق اللعب المعروفة حاليًا .. أما الـ ٢٢ ورقة الباقية فتدعى (السر الأعظم) ..

ولهذه الأوراق ترتيب معين يمكن للملمين بـ (التاروت) أن يجدوا فيه قصة كاملة ..

ـ إذن سيحكى لنا هذا الرجل سبع قصص ..

ـ بالتأكيد .. فالجالسون هنا سبعة ..

كانت السيدة قد انتهت من خلط الأوراق فأعادتها إلى د. (لوسيفر) ، الذى تناولها ..

وبهدوء بدأ يقلب الأوراق بترتيب معين .

الصور الزاهية الغامضة تتراءى لعينى فى الضوء الأخضر الغامض .

وبدأ د. (لوسيفر) يتكلم .

وكانت هذه حلقة الرعب الثانية .

لقد دارت العجلة ولن تتوقف إلا حين يقرر هو ذلك ..

لأنه رجل لطيف طيب ....

ولا أحد ينكر ذلك ..

* * *

الحكـايـة الأولى

ماذا أصـاب (لويز) ؟

بطولة : ليليان مازورسكى

(لقد كـان الجـواب قريبًا منـك يـا سيدتى لكنـك لـم تفهمى قط) ..



وبهدوء بدأ يقلب الأوراق بترتيب معين ..

الاسم : ليليان مازورسكى .
السن : ٥٦ عامًا .
المهنة : سكرتيرة سابقًا .
الحالة الاجتماعية : أرملة وأم لثلاثة .
الإقامة : نيويورك .
الجنسية : أمريكية لكن أصولها تعود إلى (بولندا)
وقد نزح أبوها إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٢ ، وهو عامل طباعة أصلا .
الهوايات : إن مسز (مازورسكى) اجتماعية جدًا ، وتهوى صحبة البشر ، وفى هذه الأمسية اصطحبتها صديقة ابنتها (لويز) لتقابل هؤلاء القوم الخارقين للعادة .
بالإضافة إلى ذلك هى تهوى سماع موسيقا العشرينات وأغانى (نات كنج كول) .

قال دكتور (لوسيفر) وهو يرتب الأوراق أمامه :
ـ والآن دعينا نر يا مسز (مازورسكى) ..
أجفلت المرأة حين سمعت اسمها .. ، ولم أر فى هذا معجزة مّا .. فمن أسهل الأمور أن تعرف أسماء المدعوين إلى حفل ..

كانت الورقة الأولى هى ورقة (الساحر) .. تمثل ساحرًا يقف أمام مائدة عليها أشياء عديدة .. [فيما بعد عرفت أن هذه الورقة تشير إلى المهارة والثقة بالنفس ، بينما يرى (أنطوان كورت) الفرنسى أنها ترمز إلى القرن الأول للديانة المسيحية ، على حين يرى علماء النفس أنها ترمز لانبثاق (الأنا) فى النفس البشرية] .
الورقة الثانية كانت (المشنوق) وكالعادة تمثل شابًا معلقًا من قدمه اليمنى إلى المشنقة .. وتشير هذه الورقة إلى الاستسلام والتضحية بالنفس ..
الورقة الثالثة هى (القوة) .. وتمثل رجلاً يصارع أسدًا ..
ثم جاءت ورقة العالم .. ثم ورقة المحاكمة ..
وأخيرًا جاءت الورقة المشئومة : الموت .. يظهر فيها هيكل عظمى يمسك بمنجل يحصد به الرءوس ..
وفيما بعد عرفت أن هذا الرسم المميز للموت فى خيال الإنسان ، إنما استمد أساسًا من أوراق (التاروت) .
وعرفت كذلك أن رقم هذه الورقة الكنيبة هو (١٣) !.. دائمًا هى الورقة الثالثة عشرة ..
اتسعت عينا المرأة ذعرًا إذ رأت هذه الورقة ..
هتفت فى د. (لوسيفر) :

ـ هلا أوضحت لى معنى هذا ؟!

نسق د. (لوسيفر) الأوراق بترتيبها الذى خرجت به .. ثم قال :

ـ لو أننا تتبعنا رأى علماء النفس فى هذه الأوراق يا سيدتى لقلنا إنك تعانين من إحساس بالذاتية جدّ مفرط ، مما يضطرك إلى التضحية لتتأقلمى مع المجتمع ، وعندئذ تتكاملين روحيًا مع العالم وتولدين من جديد ، وتنتهى خشيتك من الموت ..

ثم ابتسم ابتسامته الكريهة وأردف :

ـ لكننا لسنا بصدد علم النفس هنا ، السحر ـ يا سيدتى ـ هو اسم اللعبة .. فاصغى جيدًا لما سأقول ....

* * *

فى هذا اليوم ـ الذى حتمًا مرّ بها منذ أيام ــ عادت مسز (مازورسكى) إلى دارها شاعرة بالحنق ..

لقد كان يومًا نحسًا كله .. فحين ذهبت إلى (السوبر ماركت) لم تجد كيس النقود معها ، وخرجت منه لتجد ورقة مخالفة على زجاج سيارتها الصغيرة لأنها وقفت فى الممنوع ..

تصاعد الدم إلى رأسها وتراجعت بالسيارة إلى الوراء ..

طبعًا لتكسر رفرف السيارة الواقفة خلفها ..

وخرج صاحب السيارة يسبّ ويلعن متسائلاً عن القانون الذى يسمح لهؤلاء العجائز المتصابيات بقيادة سياراتهنّ فى قلب (نيويورك) محطمات سيارات البسطاء الأبرياء الذين لا وقت لديهم لهذا الهراء ..

المهم ـ نوجز القول ــ اضطرت البائسة إلى كتابة شيك لهذا الرجل الذى ينفجر غضبًا ..

ثم إنها رأت أن اليوم قد حقق ما يكفى من النحس ، فالسياسة المثلى الآن هى العودة إلى الدار.. فاحتساء كوب من اللبن .. فالنوم قبل أن تحدث كارثة أخرى ..

وهكذا ـ ترون ـ عادت السيدة (مازورسكى) إلى دارها ..

وهنا نلاحظ عدة أشياء بخصوص هذه السيدة :

أولا : هى تعيش فى ضاحية نائية بعيدة عن قلب المدينة .

ثانيًا : لا يوجد جيران قريبون على بعد ميلين .

ثالثًا : هى ليست وحيدة فى دارها لأن معها ابنتها (لويز) ، وهى آخر من بقى فى الأسرة بعد ما تزوج (مارك) ونزح إلى (أوهايو) وبعد ما تزوج (بوب) ونزح إلى (كاليفورنيا) ..

* * *

هنا كفَّ د . (لوسيفر) عن سرد القصة والتفت إلى مسز (مازورسكى) وتساءل فى كياسة :

ـ هل كل شيء دقيق حتى هذا الجزء ؟

شحب وجهها وغمغمتْ :

ـ لا بأس .. استمر إذن .

وعاد د. (لوسيفر) يواصل قصته ..

* * *

لم تكن (لويز) فى الدار لأنها خرجت مع صديقتها الجديدة (هارييت) .. هكذا عرفت الأم حين قرأت الـ (ستيكر) الملصق على الثلاجة ..انتزعته فى غلٍّ وهشمته بين أناملها ، ثم فتحت الثلاجة وأخرجت دورق اللبن وصبت لنفسها كوبًا كبيرًا باردًا ..

منذ أن دخلت (هارييت) فى حياة (لويز) لم تعد (لويز) هى هى .. فتاة السبعة عشر عامًا الرقيقة المرهفة التى تعزف البيانو وتقرأ الشعر ليلاً قد أصابها تغيير ما ..

إن (لويز) نحيلة ترتدى منظارًا وثيابها كلاسيكية محتشمة راقية .. أما (هارييت) فصاخبة حمراء الشعر ترتدى أى شيء وكل شيء .. ومن المؤسف أن الأم لم تجد قط لديها الشجاعة كى تطردها أو تأمرها أن تترك ابنتها وشأنها ..

ومن يومها تخرج (لويز) كثيرًا .. وتتأخر عن الدار كثيرًا .. وحين تعود لا تكف موسيقا (الروك أند رول) الصاخبة الشنيعة عن الدوى فى حجرتها مرددة أسوأ أغنيات فريق (هو) أو غيره من أسماء هؤلاء الشياطين الذين يسمون أنفسهم فرقًا ..

وكانت الأم تشعر بارتياح شديد لصديقة ابنتها (مارى) التى تناسب طباعها إلى حدّ كبير .. ولم تكن تريد من (لويز) سوى أن تمضى مع (مارى) فترات أطول ..

ثم إن د (لوسيفر) نظر باتجاه الفتاة الجالسة معنا .. وتساءل :

ـ هل أنا مخطئ فى هذا يا (مارى) ؟

أبعدت الفتاة خصلات الشعر التى تغطى نصف وجهها وقالت :

ـ لا .. استمر أرجوك ..

* * *

إلى هنا والقصة عادية تمامًا ..

مَنْ منَ الآباء هنا لم يمرّ بها وهو يتعامل مع ابن فى سن المراهقة ؟..

إن الأصدقاء قد يكونون شعلات من نار ما إن تضع

ابنك بينهم حتى يحترق .. وقد يكونون قطعًا من جليد ما إن يلامسهم ابنك حتى يتجمد .. ، الخلاصة أنه لن يكون بمعزل عنهم أبدًا ، وواجبك كأب أن تنتقى له الأصدقاء معتدلى الحرارة حتى لا يتجمد أو يحترق ..

تلكم الخواطر دارت ـ ولابد ـ فى ذهن الأم فوجدت نفسها تسكب كوب الحليب ثم تنتزع ثيابها ذاهبة إلى الفراش وقد أحست بأنها عازفة عن أكل أى شىء ..
إن الفارق الزمنى المهول بينها وبين ابنتها ـ أكثر من أربعين عامًا ـ يجعل أى احتمال للتفاهم بينهما مستحيلاً ..
كان من الأوفق لها أن تكون جدتها ، وهى نفسها لا تدرى سر الظروف التى قادتها إلى الحمل فى الأربعين من عمرها .. حتى أنها ظلت ترتقب فى هلع أن تولد ابنتها مصابة بتخلف عقلى أو عيب خلقى مروع .

لكن شيئًا من هذا لم يحدث والحمد لله ..

* * *

صوت الباب ينفتح ..

صوت خطوات ابنتها تنسل إلى الداخل ..

هرعت حافية القدمين إلى مدخل الدار .. وهتفت فى ابنتها :

ـ ألن تتناولى عشاءك ؟

تعمدت ألا تلقى تحية المساء أو تعلن عن وجودها كى تحافظ على كونها مرعبة للفتاة .. ، ورسمت على وجهها تعبير حزم مسرحيًا ، فالحقيقة المؤسفة هى أنها لم تستطع قط أن تكون حازمة مع طفلتها ..

ـ تناولته بالخارج ..

قالتها الفتاة .. شاحبة .. غريبة الأطوار مبعثرة المنظر قليلاً .. ، ثم إنها هرعت إلى غرفتها دون إضافة أخرى ..

فى هذه المرة لم تحتمل مسز (مازورسكى) هذا الذى يحدث كل ليلة تقريبًا .. هرعت إلى غرفة الفتاة بدورها وفتحت الباب بعنف لتجد ابنتها واقفة أمام النافذة تنظر عبرها إلى الليل المظلم بالخارج ..

ـ (لويز) ! ـ صاحت فى عنف ـ ماذا دهاك بالضبط ؟

هل أنت واثقة أنك بخير ؟

ودون أن تدير الفتاة ظهرها .. همست :

ـ أرجوك ألا تشغلى بالك بى ..

لكن مسز (مازورسكى) كانت فى غاية الانشغال بالفعل .. منشغلة منذ زمن سحيق .. منشغلة إلى حد إجراء تحريات واسعة عن ابنتها .. منشغلة إلى حد

تفتيش حجرتها ركنًا ركنًا .. منشغلة إلى حدّ كشف القميص عن معصمها ليلاً بحثًا عن آثار إبر ، فهى لم تكن واثقة من أن ابنتها لا تتعاطى شيئًا ما ..

هى قد قرأت مرارًا أن المراهق مدمن المخدرات يحرص على ارتداء ثياب شتوية فى الحرّ ليغطى معصمه بها .. والوقت كان صيفًا .. وبرغم ذلك ترتدى (لويز) قميصًا طويل الكمين ..

ـ إلى أين ذهبت أنتِ و (هارييت) ؟

ـ لا شىء ـ قالتها الفتاة ومطت شفتيها اشمئزازًا :

ـ ذهبنا إلى السينما .. وزرنا بعض الصديقات .. كان كل هذا مملاً ..

ـ ومتى تناولت العشاء إذن ؟

ـ ليس عشاءً بالمعنى الحرفى .. بعض البطاطس المحمرة و(كولا) ..

إذن قد حان الوقت للعب دور الأم الحانية :

ـ سأعد لك العشاء .. ولسوف تأكلينه ..

ـ ولكن أنا لا ...

ـ (لويز) !.. من فضلك افعلى شيئًا من أجلى .. شيئًا واحدًا .. وإلى المطبخ ذهبت مسز (مازورسكى).. أعدت بعض الكبد مع البصل .. ياليت زوجها (بول)

كان هنا .. إن سلطة الأب لشىء شديد الأهمية لا تشعر به سوى الأمهات .. تمامًا كما أن عناية الأم شىء هام لا يفهمه إلا أب يحاول تغيير (الكافولة) لطفله .. كان (بول) يفهم هذه الأمور .. ومن يدرى ؟. لربما كانت واهمة فى ظنونها .. لربما ابنتها تمرّ بأزمة نفسية عابرة وهى فى سن يشعر جيدًا بالحرمان الاجتماعى ..

نعم .. هى بالتأكيد فى حاجة إلى رأى طبيب نفسى أو خبير تربوى .. إن هذا الذى يحدث ليس .... آى !..

وفى جزع تأملت الجرح فى إصبعها .. لقد مزقته السكين تمزيقًا .. والدم يسيل على رخامة المطبخ ..

ـ مامى !.. هل جرحت نفسك ؟

هتفت (لويز) فى هلع .. ثم إنها تقدمت من أمها وأمسكت إصبعها .. متى دخلت المطبخ ؟.. إن الأم لا تذكر شيئًا من هذا ..

المهم أنها أمسكت إصبع الأم ، وفى رفق وحنان شرعت تمتصّ الدم من عليه ، وهو مشهد ألفته الأم جيدًا ولم تندهش له .. ما أثار دهشتها هو التلذذ الواضح فى ملامح (لويز) .. هو البريق الغامض فى العينين .. كأنها قطة تلعق اللبن فى رضا ..

ودون كلمة أخرى انتزعت الأم إصبعها .. وإلى الحمام جرت لتأخذ من الصيدلية قطعة من البلاستر ..

وفيما هى عائدة إلى المطبخ ، كانت (لويز) جالسة أمام طبق الطعام تلتهمه فى جوع واضح .. وتقول لها :

– يجب أن تكونى حذرة يا (ليلى) .

– اسمى (مامى) .. وللمرة الألف أقول لك إننى امرأة من الطراز العتيق .. وفى مراهقتى لم أكن أنادى أمى باسمها ..

– هلمى يا (ليلى) .. لا تتشبثى بالألفاظ هكذا ..

– اخرسى يا (لويز) !

فخرست الفتاة ..

ولما كان الليل قد توغل ، صعدت كلا المرأتين إلى غرفتيهما لتناما ..

ولم تتبادلا تحية المساء بالطبع ..

لكن الأم – فى فراشها – لم تستطع أن تهدأ بالاً ..

صوت موسيقا (الروك) يتعالى من غرفة طفلتها طاردًا كل احتمال للنوم ..

وأخيرًا تسمع صوت الـ (ستريو) يُغلق .. وتسمع الـ (كليك) المميزة لانغلاق النور الكهربى فى غرفة الفتاة ..

* * *

الظلام الدامس .. صوت الساعة الرتيب .. صوت أنفاسها ..

ولكنها تتبين صوتًا آخر .. صوتًا لا ينتمى لأوركسترا الليل التى ألفتها واعتادتها .

ما هو أصل هذا الصوت ؟.. وما مصدره ؟..

نهضت فى تؤدة إلى الباب وأصاخت السمع .. فلم يكن ثمة شك فيما سمعته .. إنه لصوت قدمين حافيتين دقيقتين تزحفان فوق الأرض .. لا داعى للمزيد من الإنصات ولتفتح الباب لترى ..

بالتأكيد هما قدما ابنتها .. فاللصوص لا يملكون أقدامًا حافية دقيقة على قدر ما تعلم ..

فتحت الباب حين كان صوت كالون الباب الخارجي ينغلق .. إذن لقد رحلت الفتاة .. ولكن لأين ؟.. وفى هذه الساعة ؟..

إلى مدخل الشقة هرعت .. أضاءت الأنوار كلها .. فتحت باب الشقة ووقفت ترمق الظلام الدامس بالخارج .. تستنشق رائحة هواء الليل الصيفى المترعة بزهور البرتقال ..

لا أحد على مرمى البصر ..

– (لوييييز) !

بأعلى صوتها نادت .. لكن أحدًا لم يكن هناك ليرد عليها سوى نباح كلب من بعيد .. كأنها لمسة أخيرة يضيفها مخرج عبقرى على مشهد سينمائى يصف الوحشة ..

- (لوويييز) !

كالملسوعة أغلقت الباب .. هرعت إلى حجرة ابنتها وفتحتها .. الفراش خاو ومنسق .. أى أن الفتاة لم تنم قط ..

على الفراش كان هناك شىء ما ..

وإذ تدقق النظر أكثر تعرف ما هو .. منظار ابنتها الذى لا ترى بدونه تقريبًا .. إذن (لويز) خرجت .. خرجت إلى مكان لا تدرى أين هو (لا يوجد مكان من أى نوع قرب هذا البيت المنعزل) ..

والأدهى أنها خرجت حافية القدمين .. ودون منظار .. فكيف تستطيع أن تتبين أى شىء ؟..

شرعت تتأمل الغرفة بدقة أكثر ، فكان أن وجدت مجموعة من الكتب .. قربت عينيها من أغلفتها لتقرأ العناوين ..

يا لها من مواضيع !.. (عن الأشباح) .. (أنا مشيت مع زومبى) .. (مصاصو الدماء يحيون) ..

وكانت هناك بعض مجلات على غلافها مصاصو دماء ينقضون على أعناق نسوة صارخات ..

تبًا لها من ثقافة !.. ما الذى يثير شغف إبنتها فى هذه المواضيع الكئيبة الشنيعة ؟.. هل لهذا ارتباط معين بتغير شخصيتها الواضح ؟..

هل هذه هى الليلة الأولى التى تغادر فيها البيت ؟..

كيف لم تستطع أن تسمعها من قبل إن لم تكن هذه أول ليلة ؟..

وهنا جاءها الجواب المريع فى صورة خاطر غير مكتمل .. ثما صار فكرة واضحة توشك أن تغدو حقيقة :

لأن هذه هى أول ليلة تمتنع فيها عن عادتها فى احتساء الحليب قبل النوم !..

نعم لا شك فى هذا .. هى تجرع كوبًا من الحليب كل ليلة ، ولم تفعل ذلك اليوم فقط بسبب تعكر مزاجها ..

فهل لهذا السبب وحده لم تنم ؟.. هل لهذا السبب سمعت قدمى طفلتها وهى تتسلل خارجة ؟.. وهذا يعنى أن هناك من يدسّ لها منومًا فى الحليب .. ولا يوجد مشتبهون كثيرون للأسف ..

كان التفكير يقتلها حتى أنها ـ عمدًا ـ ذهبت للمطبخ ، وصبت لنفسها كوبًا من السائل الأبيض الدسم ..

سأرى - قالت لنفسها - ما إذا كان هذا اللبن منومًا ، فإن كان كذلك استرحت من الانتظار المتوتر .. وإن لم يكن كذلك استرحت من الشكوك .. و .. آووووه ! إن .. النعاس ..... يغا .....

لقد كان اللبن كذلك !

* * *

- هالو .. (مارى) هذا أنا أم (لويز) .. هلا أتيت لى بعض الوقت ؟.

- أكيد يا سيدتى .. هل حدث شىء ما ؟

- لم يحدث بعد .. لكنى أعرف أنه سيحدث ..

ووضعت سماعة الهاتف بانتظار (مارى) صديقة عمر (لويز) .. إن (مارى) لفتاة متزنة عاقلة ، لكنها - حين جاءت - لم يكن لديها الكثير كى تقدمه للأم .. فقد نأت (لويز) بجانبها عنها ، ولم تعد تزورها أو تكلمها هاتفيًا .. إن الصداقة لا تشترى ولا تطلب ولقد أحست الفتاة بأنه لم يعد لها مكان فى حياة صديقتها .. فابتعدت فى كياسة وصمت ..

- وماذا عن هذه الـ (هارييت) ؟

حدقت الفتاة فى أظفار يديها .. وغمغت :

- حمقاء هى .. غير متزنة .. لكن لها مغناطيسية

خاصة .. وكل من يتعامل معها يمرّ بهذا الطور المريب .. لقد حاولت أن تضمنى إلى سلسلة مفاتيحها لكنى أبيت .

ثم اقشعر جلدها .. وهمست بصوت كالفحيح :

- الحق أنها فتاة مرعبة !

- ولماذا هى مرعبة ؟

- لا أدرى .. عاداتها .. شاحبة الوجه جدًا .. تحب الليل والظلام .. أنا لم أرها فى ضوء النهار قط ..

قالت الأم وقد تذكرت الكتب التى وجدتها فى غرفة ابنتها :

- وهل لديك فكرة عما يفعلن حتى ساعة متأخرة من الليل ؟..

هل لديك تفسير لخروج (لويز) وحيدة بعد منتصف الليل ؟

- لا أدرى يا مسز (مازورسكى) .. ربما هى مصابة بداء المشى فى أثناء النوم .

- لم تشك منه طيلة عمرها ..

- ألم تسأليها عن سبب خروجها ؟

- بلى .. سألتها فى الصباح حين أفقت من إغماءتى ..

وتذكرت مسز (مازورسكى) ما حدث ..

فى ساعة متأخرة من الصباح صعدت لغرفة الفتاة .. وجدتها نائمة فى الفراش منهكة تمامًا .. قدماها

العاريتان متسختان بالوحل الجاف الذى سارت فوقه ليلاً.. لهذا تتسخ ملاءاتها سريعًا .. تحت عينيها هالتان سوداوان قبيحتا المنظر .. وكالعادة أغلقت كمى قميص نومها وعنق ثوبها بإحكام شديد كأنها تدارى شيئاً ما .

مدت الأم يدها وفتحت الزر الذى كان يغلق كم القميص ورفعته لأعلى لتتأمل الساعد الناحل .. لم تكن هناك آثار إبر .. ولكن كان هناك ثقبان دقيقان متباعدان فى لحم الذراع كأنما نجما عن نابين حادين ..

نابين حادين ؟!..

وبدأ جلد ذراعى الأم يتصلب ..

لماذا لم تعد (لويز) ترتدى الأيقونة حول عنقها ؟.. لماذا انتزعت ستائر الغرفة البيضاء وجعلت أمها تضع بدلاً منها ستائر زرقاء سميكة ؟..

لماذا لم تعد تستحم ؟..

* * *

كان البروفسير (هندريكس) موحيًا بالثقة إلى حد كبير ، إذ جلس واضعًا ساقًا على ساق يصغى لكلام الأم ، ويرمقها بعينين زرقاوين لا تطرفان .. كان طبيبًا نفسيًا لكنه مولع ــ كذلك ــ بعالم الخوارق .. ويقبل قصص الأشباح دون تشنج كبير ..

صعدت لغرفة الفتاة ..

وجدتها نائمة فى الفراش منهكة تمامًا ..

سألها إذ فرغت من قصتها :

ـ هل كفّت (لويز) عن الاستحمام ؟

ـ نعم ..

ـ هل تنام أكثر النهار وتسهر الليل كله .

ـ نعم ..

ـ وهل رفضت أن تأتى معك إلىّ ؟

ـ نعم ..

نقل ساقًا على ساق .. وغمغم :

ـ لو أننا أخذنا رأى الطب النفسى فى هذا لكان لدينا احتمالان ..

وفتح إصبعيه السبابة والوسط ليعدّ عليهما :

الاحتمال الأول : هو تفاعل هستيرى لضغوط تحيط بابنتك ..

الاحتمال الثانى : هو أن ابنتك قد أدمنت عقارًا ما .. وعندئذ كنت ستلاحظين العلامات المعتادة : أكمام طويلة ـ آثار إبر فى الذراع ـ زكام حتى فى الصيف ـ حكاك مستمر بفعل (بقّ الكوكايين) كما يسمونه ـ أشياء ثمينة تختفى من الدار ـ فقدان شهية ..

ـ بعض هذه الأعراض موجود .. لكن أكثرها لم يظهر عليها ..

ـ يبقى لدينا الاحتمال غير العلمى .. وهو أن ابنتك قد أصيبت بمس شيطانى .. إنها فى سن المراهقة ومن الوارد تمامًا أن تمس فى هذه السنّ ..

كانت الأم قد قرأت قصة (طارد الأرواح الشريرة) لـ (بيتر بلاتى) وكادت تموت هلعًا .. لكنها تعلمت الكثير عن هذا الموضوع من الرواية .. وهى كانت ميالة لتصديقه .. ربما عن رغبة خفية فى أن تشعر أنها لم تذنب كأم .. لو أن ابنتها أصيبت بالهستريا أو الإدمان لكان الذنب على رأسها .. أما الأرواح الشريرة فهى تأتى وتذهب دون قانون خاص ، ولا ذنب لأحد فيها ..

نصحها البروفسير أن تأخذ رأى أحد المختصين فى الموضوع .. ورشح لها عالمًا مجريًا سيأتى إلى الولايات المتحدة بعد شهر ، وعرض عليها أن يقدّم لها دعوة إلى الحفل الذى سيحضره هذا العالم لتكريمه ..

كان اسم هذا العالم هو .... (فرانتز لوسيفر) .

* * *

وهنا كفّ د . (لوسيفر) عن الكلام المباح ، وابتسم ابتسامة مشرقة (إذا كان لى أن أقول هذا) وقال لمسز (مازورسكى) :

ـ هذه هى حكايتك يا مسز (مازورسكى) .. وكلها مرسومة أمامى على أوراق (التاروت) .. فهل نسيت شيئًا ؟!

ازرقّ وجه المرأة (أعنى أنه احمرّ لكن فى الضوء الأخضر يصير الأحمر أقرب إلى اللون الأزرق) .. وبلعت ريقها ..

ـ أنت تعرف كل شىء عن القصة .. ولكن كيف عرفت هذا من الأوراق ؟

ـ هذا سرّى الخاص .. وأنتم لهذا تسألون وأنا أجيب ..

قلت له عاجزًا عن البقاء صامتًا :

ـ أعنى أنه كان يجب أن تكون هناك ورقة عليها كوب لبن .. وورقة عليها فتاة نحيلة ترتدى منظارًا .. وورقة عليها سكين مطبخ ... وإلا فكيف تحكى كل هذه القصة ؟

ـ لو كان (التاروت) بهذه البساطة لصار لعبة أطفال ، ولما كانت هناك درجات (دكتوراه) فيه ..

قالها بإباء وشمم .. وأدركت أن الرجل يكرهنى بعنف ، وأننى صرت عدوه العتيد .. سنرى بعد قليل ما سيقول عن (تاروتى) أنا ..

فى استسلام تساءلت مسز (مازورسكى) :

ـ لقد جئتك مع (مارى) العزيزة لنعرف منك ما ينتظرنا والحلّ لهذه المشكلة ..

ـ لقد تأخرت كثيرًا يا مسز (مازورسكى) ..

ـ تأخرت عن ماذا ؟

ـ دعينى أحك لك ما سيحدث ..

* * *

قال د . (لوسيفر) :

ـ فى ذلك اليوم ستعودين يا مسز (مازورسكى) إلى الدار عازمة على اتخاذ إجراء صارم ..

ستكونين قد اتخذت قرارًا بألا تنامى الليل أبدًا ، ومنذ أيام تكفين عن احتساء اللبن ليلاً لأنك لا تريدين أن تفوتك لحظة خروج ابنتك .. ، وبالفعل لم يحدث قط أن الفتاة خرجت منذ صرت متنبهة لما عساه يحدث ..

إجراء حكيم .. والإجراء الأكثر حكمة هو انتزاع سلك الهاتف من القابس ، وتخبئة هذا الجهاز المقيت فى خزانة ثيابك ..

إلا أنك فى هذا اليوم ستتخذين قرارًا أكثر تطرفًا ..

ستغلقين الباب على الفتاة تمامًا .. ستختارين لها السجن الانفرادى حتى تشفى مما هى فيه ..

وهكذا تتأكدين من أن بالمنزل ما يكفى من الطعام ، ثم توصدين الباب الرئيسي وتضعين المفتاح فى مزهرية عملاقة بالردهة ..

ـ إن (لويز) تخرج عدة مرات فى النهار.. وتخرج مرة واحدة فى الليل لتعود فى ساعة متأخرة .. هذا ـ بالطبع ـ إذا ما تناسينا خروجها الذى كان يحدث بعد نومك ..

هذه المرة لن يخرج أحد .. لا أنت ولا هى ..

ولئن كان ما تعانيه إدمانًا للمخدرات فلسوف يشفيها السجن منه ..

ولئن كان مسًا شيطانيًا فها هى ذى معك تراقبينها طيلة الوقت ، وحتمًا ستعرفين الحقيقة ..

أحيانًا كان جرس الباب يدق لكنك كنت تتجاهلينه ، لأنك أخبرت معارفك وبائع الحليب والصحف أنك سافرت مع (لويز) لزيارة أخيها فى (أوهايو) .. فلن يفتقدك أحد حتمًا ..

إن كل هذا جميل ..

لكن الحكمة كانت تقضى بأن تستدعى أحد أخويها ليكون معك ، ولعمرى هذا هو الخلل الأساسى فى الأسرة الأمريكية : تفككها .. ، لقد صار إبناك بعيدين

عنك جدًا ، وفيما عدا مكالمة هاتفية كل شهر .. لم يكن الأمر ليختلف عنه لو كانا قد توفيا منذ زمن ..

ستمضين الساعات يا سيدتى تشاهدين التليفزيون ..

ستعدين لها الطام وتصعدين لغرفتها تتوسلين لها كى تأكل شيئًا .. لكنها ستظل صامتة راقدة فى الفراش تنظر إلى السقف بعينين زائغتين ..

أحيانًا ستنجحين فى دسّ قطعة لحم أو بيضة مقشورة بين شفتيها الجافتين .. وهذا على الأقل سيبقيها حية ..

لكن لنقل إنك لن تشعرى براحة أبدًا من كل هذا .. فأنت تتوقعين غضبًا عارمًا .. هياجًا .. محاولات انتحار تمنعينها فى آخر لحظة .. أما كل هذا السكون والصمت فأمر لا يُطاق ..

* * *

وفى يوم غير عادى ستصعدين إلى حجرتها ..

وبالمصادفة لن تكون هناك ، وهو حدث غير عادى فى الفترة الأخيرة ، وفرصة ذهبية لك كى تعيدى التفتيش ..

ذات الكتب الرهيبة .. ذات شرائط (الروك آند رول) جوار جهاز التسجيل ذى البكرتين .. وبقايا طعام ..

فتحت درج مكتبها باحثة عن كتابات خاصة بها ، فلم

تجدى شيئاً معيناً سوى الأيقونة التى كانت لا تفارقها .. ومنظارها ..

وهنا سترين ظلا يتحرك على الحائط فتديرين وجهك لترى ما عساه يكون هناك ..

عندئذ ستجدين (لويز) واقفة على الباب تبتسم ابتسامة شيطانية وتسمعينها تقول لك .

- هل وجدت ما تبحثين عنه يا أماه ؟

وإذ ترين وجهها ستفهمين الحقيقة ..

لقد كنت حمقاء تماماً ..

لم تربطى قط ما بين تغيير طباعها .. وتلذذها بلعق الدماء التى سالت من إصبعك .. نومها طيلة النهار وسهرها ليلا .. وخروجها تحت أستار الظلام إلى القفار .. و (هاربيت) التى تخيف صديقاتها ..

ثم الأكمام الطويلة دائماً .. كانت تخفى بها أثر الأنياب فى معصمها .. فلماذا ؟

الواقع يا سيدتى أن هذه هى طباع مصاصى الدماء .

لقد كان الجواب قريباً منك لكنك لم تفهمى قط ..

والآن - وأنت تتراجعين بظهرك للوراء وهى تتقدم منك - تعرفين أنك كنت حمقاء حين لم تدركى ذلك ..

حمقاء حين حبست نفسك فى بيت واحد مع هذا المسخ الذى يتضور جوعاً ..

حمقاء حين لم تصدقى كلماتى هذه ..

لكن الأوان قد فات يا سيدتى ..

فات للأسف ..

* * *

حين انتهى (لوسيفر) من سرد حكايته ساد الصمت بعض الوقت ، إلا من صوت الأنفاس الثقيلة وحفيف أوراق (التاروت) بين أنامله وهو يعيد خلطها ..

بعد قليل تساءلت مسز (مازورسكى) بصوت مبحوح :

- ومتى يحدث هذا ؟

- لا أدرى .. ربما الليلة بعد عودتك من هنا ..

- وكيف أمنعه ؟

- تلك مشكلتك أنت .. إنما أطلعتك على ما سيكون ولك أن تصدقى أو لا تصدقى ..

همست المرأة كأنما تحدث نفسها :

- من العسير علىّ أن أصدق .. لقد تركتها فى الدار الآن و .. ولكن .. بالفعل أعترف بأن تفسيراً كهذا خطر على بالى مراراً .. إن (لويز) تخيفنى .. طفلتى البريئة التى أرضعتها من صدرى تخيفنى !

وتهالكت .. فربتت الفتاة على كتفها .. أردت أن

أقول لها إن كل هذا لن يحدث لأن (لوسيفر) هذا نصاب بالتأكيد .. لكننى وجدت أن الأصوب هو أن أنتظر ريثما تنتهى هذه الجلسة المشئومة ..

ـ من التالى ؟

دوى صوت البير ناظرًا إلينا .. فرفع الرجل الأسمر كئيب الوجه يده طالبًا أن يكون هو المختار ..

ناوله د . (لوسيفر) الأوراق وترك له أن يخلطها ..

أخذها منه وشرع يقلبها على المائدة المسدسة أمامه ..

ثم بدأ يتكلم ..

* * *

الحكاية الثانية

(اللعبة)

بطولة : جون ميلز

(لنقل إن الصفقة التى أعرضها عليك لهامة جدًا .. إنها تساوى حياتك ذاتها .. والثمن الذى أعرضه عليك قريب من هذا) .

الاسم : جون ميلز
السن : ٤٤ عامًا .
المهنة : مدير شركة .
الحالة الاجتماعية : متزوج ولم ينجب .
الإقامة : نيويورك .
الهوايات : للأسف مستر (جون) لا يهوى سوى القمار، وقد أضاع مبالغ طائلة من المال فى (لاس فيجاس) . إن هذا قد أضرّ كثيرًا بوضعه الاجتماعى والمالى وكاد يودى بزواجه إلى النهاية مرارًا لو لم تكن زوجته تحبه . إن القمار لهو مرض اجتماعى شبيه بالإدمان وكلاهما يحتاج إلى علاج نفسى صارم .. وللأسف لم يطلب (ميلز) علاجًا كهذا .
الحالة الصحية ، كما لنا أن نتوقع من ملامح وجهه ، مستر (ميلز) مريض بداء عضال فى كليتيه .. وهو منذ زمن يعيش مهددًا بانتهاء إقامته فى عالمنا هذا .. ولعل هذا يعزيه نوعًا عن كونه لم يأت بأطفال إلى هذا العالم .

كانت الورقة الأولى هى بالفعل أول ورقة فى (التاروت) .. وتمثل (الجوكر) ـ المهرج ـ بثيابه

المزركشة ، يمسك بيده اليمنى عصاه ، واليد اليسرى ارتفع إصبعها السبابة إلى السماء .. بينما يطأ بقدمه كلبًا شرسًا .. ، ولم يزل العلماء حائرين بصدد هذه الورقة .. لماذا يرفع إصبعه السبابة إلى السماء ؟.. هل هى آثار عقيدة التوحيد فى الثقافة الإنسانية ؟.. وهل هو يطأ الكلب رمزًا إلى مصارعة الشهوات ؟..

بعد هذا جاءت ورقة الشيطان .. وأمامه سيدة مذعورة تدارى وجهها عنه ، ثم ورقة النجم .. التى تُظهر امرأة تسكب الماء فى البحر من وعاء فخارى ، والنجوم تحيط برأسها ..

بعد هذا جاءت ورقة المحاكمة .. ثم ورقة الكاهنة العظمى ..

كفّ د. (لوسيفر) عن تقليب الأوراق ورفع عينيه نحو مستر (ميلز) .. وقال له .

ـ لك أحكى ما أرى .. ما كان وما سيكون .. ولكن عساك لا تهاب الموت .. لأن الردى ينسال من أوراقك ..

وهنا سمعنا ذلك الصوت المألوف يتساءل فى حرج .

ـ معذرة .. هل توجد هنا دورة مياه ؟.. إنها (البروستاتا) كما تعلمون !

هتف (كلارتون) بصوته المعدنى :

ـ إجلس يا (كولبى) ولا تكن مهرجًا .. إن أحدًا لن يغادر الصومعة حتى ينتهى د . (لوسيفر) من ممارسته .

ـ سأموت !

ـ إجلس يا (كولبى) !

وهكذا شرع د . (لوسيفر) يحكى ما يراه ..

* * *

كان مستر (ميلز) يعرف جيدًا نهايته المحتومة .. يعرفها منذ تأمل الطبيب صورة الأشعة ، وأنزل المنظار على أنفه ليتمكن من أن يحدج مريضه بعينيه الشبيهتين بسحابتين ممطرتين ..

قال له كعادة الأطباء الأمريكيين فى صدم مرضاهم :

ـ إن كليتيك معطلتان يامستر (ميلز) . وهو عيب خلقى قديم فيهما يجعلهما مليئتين بالحويصلات، عديمتى النفع .

ـ لكنى لم أشك منهما قط ..

ـ الكلية عديدة الحويصلات قد لا تعلن عن وجودها قبل سن الأربعين ..

ثم وضع الأشعة جانبًا وأردف :

ـ ثمة حلول مؤقتة كما تعلم كالغسيل الكلوى ومحاولة زرع كلية .. لكن حتى نجد واحدة يمكننا القول إن حياتك مهددة بالخطر تمامًا ..

ثم أشار نحو الباب فى كياسة :

ـ والآن أرجو أن تسمح لى بفحص المريض التالى .

* * *

وهكذا ـ وبهذه القسوة ـ عرف (ميلز) أن إحدى قدميه فى عالمنا هذا والأخرى فى عالم يخشاه بقوة كما خشيه (هاملت) من قبل ، برغم اشتياق هذا الأخير إلى سبات طويل ..

سحقًا للطبيب !.. قال له هذه الكلمات وذهب ليلعب الجولف .. أو قالها وذهب ليتناول الغداء .. أو قالها وذهب ليلقى حبيبته .. ، لم يدرك قط أنه ـ ببضع حروف ـ زلزل حياة إنسان .. خلخلها من جذورها فلم تعد ثمة قيمة لشىء ..

الآن فقط يتذكر كفاحه للوصول إلى منصب مدير الشركة .. يتذكر محاولاته للإلقاء بشراكه حول (جين) حتى تحبه .. فتقبل فى ليلة صيف باسمة أن تكون زوجته ..

كل هذا كان هراء .. كل هذا من أجل لا شىء ..

* * *

ولم يصارحها قط بما عرفه ..

إن تلك العزيزة الرءوم لا تستحق أن تتألم ألمًا لا جدوى منه ..

فقط هى لاحظت جهامته وجنوحه للصمت . وفسرت الأمر على أنه شكل ما فى العمل .

أما هو فكانت حساباته محكمة ..

إنه مواظب على دفع قسط بوليصة التأمين على حياته . وهؤلاء الحمقى لم يعرفوا قط أنه مصاب بـ .. ماذا كان اسمه ؟.. نعم .. تحوصل الكليتين الخلقى ... ولو أنه قضى النحب بعد قليل سيكون لدى (جين) العزيزة مبلغ محترم من المال ..

المشكلة هى أنه يريد لها ما هو أكثر ..

* * *

فى ذلك الوقت اندمج أكثر فى القمار ، وصار أكثر ترددًا على حلبات سباق الخيل ، وهو سلوك جدّ غريب من رجل يفترض فيه أن يكون أكثر تجردًا وزهدًا فى الموبقات ..

لكن ذلك ـ كما قلنا ـ كان داءً عضالاً فيه ، يحتاج إلى رأى الطب النفسى ..

هناك بوجهه الشاحب الكئيب كان يجلس يتأمل عجلة الروليت أو أوراق اللعب أو تلاحق حوافر الخيل .. ويمسح قطرات العرق الباردة المتلاحقة فوق جبينه .. ويخسر .. دائمًا يخسر ..

لكنه ـ ككل المقامرين ـ كان يأمل فى أن تكون المرة القادمة أوفر حظًا .. المشكلة هى أن هذه المرة القادمة لا تجىء أبدًا ...

وكان هذا هو الوقت المناسب ليظهر (جيروم) فى حياته ...

* * *

إن (جيروم كلايد) لإنسان مقيت حقًا ..

هو كسول .. مهمل .. شديد الذاتية والإحساس بالاضطهاد مما يجعله مرءوسًا سيئًا لكل إنسان حتى ولو كان هذا الإنسان هو (ميلز) ..

إن الموظف الذى يتكلم طيلة الوقت عن حقه المهضوم لهو موظف يثير الغثيان .. خاصة إذا ما كان لا يفعل شيئًا تقريبًا ..

إن (ميلز) يتمنى دومًا أن يطرده لكنه حقًا لا يدرى لماذا لا يفعل ذلك .. ربما لأن (كلايد) لم يكن يظهر لعينيه إلا لحظة يكون (ميلز) رائق المزاج أو منهمكًا إلى حدّ أن ينسى طرده ..

وكان (كلايد) يمارس لا شىء تقريبًا فى المكتب .. لا أحد يدرى ما يقوم به ولا أحد يهتم ..

كالثعلب العجوز يجلس أمام الآلة الكاتبة يطبع أشياء

لا يعرف أحد كنهها .. يكتب خطابات لم تطلب منه .. ويسطر جداول لم يردها أحد .. ثم يذهب للغداء أو تناول القهوة ، ويعود ليسبّ ويلعن الحمقى الذين لا يدركون مدى كفاءته ..

الخلاصة أنه مخلوق مقيت ، ولم تكن البشرية لتفتقد بوفاته أكثر مما تفتقده إذا توفى خنزير برى فى (إندونيسيا) ..

وفى ذلك اليوم كان (ميلز) فى حلبة السباق يراقب الخيول ذوات الأسماء الموحية مثل (لارى السريع) .. (مثلث برمودا) .. (كابوتشينو) تهرع فى الحلبة وصياح الناس يصمّ الآذان ..

وكان هو يضع منظاره المعظم على أنفه والجريدة تحت إبطه مراقبًا ما يحدث ..

لقد راهن على جواد يُدعى (سومبريرو) .. وهذا الجواد متفوق يتمتع بكل خواص النجاح فيما عدا عيبًا واحدًا : هو أن (ميلز) قد راهن عليه .. وبالتالى صارت خسارته مؤكدة ...!

وبالفعل أصيب الجواد بالبله والعته والشلل الرعاش فى ثوان .. وصار هو الأخير فى المضمار ..

أنزل (ميلز) منظاره وتثاءب ونظر إلى الساعة .. هل عساه يراهن على جواد خاسر آخر .. أم يعود إلى البيت ؟..

وهنا شعر بيد ثلجية تلمس ذراعه ..

ـ نهارك سعيد يا مستر (ميلز) !

كان هذا هوم (كلايد) الذى بدا له منفرًا أكثر من أى وقت مضى .. كان قصير القامة منحنيًا للأمام كالقرد .. ورأسه الأصلع يلتمع فى ضوء الشمس بمادة زيتية كريهة .. وكانت أسنانه النخرة تفضح أعوامًا طوالاً قضاها فى التدخين واحتساء القهوة ..

ـ لم أعرف أنك هنا ..

قال (ميلز) فى تحفظ :

ـ أحيانًا أجد نفسى راغبًا فى قتل الملل ..

ـ أنا كذلك .. لقد راهنت على (سومبريرو) مثلى .. وكالعادة خسر .. مرحبًا بك فى نادى الخاسرين يا سيدى !

هزّ (ميلز) كتفيه عازمًا على الرحيل دون تعليق ، لكن الرجل أوقفه بجذب كمه .. يالها من وقاحة !.. ماذا يريد هذا المخبول ؟

ـ أريد أن نجلس معًا ونتحدث .. هل تمانع ؟

ـ لا أرى ما ...

- أرجوك يا سيدى .. لسوف أقدم لك عرضًا لا يُرفض ..

- إذا كان الأمر كذلك .. لربما كانت (الكافتريا) مناسبة ..

* * *

- إن كلانا مقامر بالفطرة يا مستر (ميلز) ..

كانت هذه هى العبارة الافتتاحية التى بدأ بها (كلايد) حديثه ، وكان هذا شبيهًا بأن تبدأ القصيدة بكفر صريح .. فهبّ (ميلز) محنقًا يوشك على الرحيل .. لولا أن دعاه (كلايد) إلى الجلوس فالهدوء لأن ما سيقوله سيثير اهتمامه حتمًا ..

- إذن تكلم ..

صبّ الرجل الكريه لنفسه بعض القهوة وقال :

- من المفهوم لى يا سيدى أنك رجل مريض تمامًا .

- من قال هذا الهراء ؟..

- إننى أعمل فى شركتك .. وأدخل مكتبك أحيانًا ، ولا يعدم الأمر أن أجد تقريرًا طبيًا أو نتيجة تحليل من حين لآخر ..

صعد الدم إلى رأس (ميلز) :

- أنت تتجسس علىّ إذن يا (كلايد) !

رشف (كلايد) قهوته فى استمتاع .. كان من الذين يجدون أروع اللذات فى أن يكرههم الآخرون .. قال :

- لا يهم المصطلح الذى تستعمله .. سمّه تجسسًا .. سمّه اطلاعًا على بواطن الأمور ، لكن النتيجة واحدة ..

تنهد المدير التعس فى استسلام .. سيصغى لهذا الوغد بعض الوقت ثم ينهض غاضبًا ويطرده من الشركة أول شىء غدًا :

- حسن .. قل عرضك اللعين .

قال (كلايد) وهو يضع بعض (مبيض القهوة) على قدحه :

- لنقل إذن إننى أملك ما تريده أنت .. أنت بحاجة إلى كلية وأنا أملكها ..

- لحظة أيها المعتوه .. إن توافق الأنسجة ..

- هذا هو أجمل ما فى الموضوع .. لقد هيأت المصادفة أن أكون أنا من نفس فصيلة الدم وذات نوعية الأنسجة ، لقد قرأت نوعيتها على التقرير الطبى الخاص بك .. وإنه لنوع نادر حقًا.. لكنى أعرف أننى أملك نفس الشىء .

- وهل من المعتاد أن يعرف كل إنسان نوعية أنسجته ؟

- طبعًا .. فأنا أجريت فحص الأنسجة كى أتبرع بكليتى من أجل المرحومة زوجتى .. لكنها ماتت قبل أن .... إهئ !

وسالت دمعتان من عينى الوغد مسحهما ، وأخرج منديلاً كبيرًا قذرًا تمخط فيه .. ثم عاد يرشف القهوة ..

تساءل (ميلز) فى غلّ :

- أنت تعرض علىّ مالم أطلبه ..

- بالعكس .. إننى أمنحك فرصة الحياة والاحتفاظ بكل ما قد حققته .. إن هذا يعنى المزيد من الأفراح .. المزيد من الرحلات إلى (هاواى) .. المزيد من المال .. المزيد من المضايقات لموظفيك ..

ثم نظر - بعينى الثعلب - إلى عينى (ميلز) :

- لن تجد كلية مماثلة بسهولة ..

ولم يكن (ميلز) بحاجة لسماع هذا .. فهو يعرف جيدًا أنه لا توجد كلية متوافقة نسيجيًا معه حتى الآن .. لقد طال انتظاره كثيرًا دون جدوى .. حتى ظن أنهم - فى مركز رعاية الكلى - قد نسوا رقم هاتفه .. ، وجلسات غسيل الكلى - أو ترويق الدم - لم تعد محتملة أكثر من هذا ..

لهذا انتقل للخطوة التالية :

- كم تريد مقابل كليتك اللعينة هذه ؟

ابتسم (كلاريد) ابتسامة الأب الذى يسمع لغو طفله :

- إن (كلايد) يا سيدى لا يبيع كليته بمال العالم .. إنه يبيعها لأنه يريد ذلك .. وبمقابل مختلف عما تظنه ..

- إذن ماذا تريد بالضبط ؟

أخرج الرجل ورقة وخط عليها بقلمه بضع كلمات ، ثم ناولها إلى المدير .. ودون كلمة أخرى أخرج ورقة مالية دسها تحت فنجان القهوة .. ثم نهض مسرعًا لينصرف ..

وقبل أن يرحل هتف :

- تعال إلى هذا العنوان فى تمام الثامنة مساءً إذا ما كان الموضوع يعنيك حقًا .

* * *

الثامنة مساءً إلا الثلث ..

و (ميلز) فى غرفة النوم بداره يربط رباط عنقه أمام المرآة .. ثم يذهب إلى الخزانة فيتناول مسدسه .. يدسّ فيه بضع طلقات ثم يضعه فى جيب السترة من الداخل ..

ثم يخرج إلى الردهة فيلثم زوجته طالبًا منها أن تتمنى له حظًا هو أحوج ما يكون له ..

- إلى أين أنت ذاهب بالضبط ؟

- ذاهب لزيارة ...... صديق حميم ..

ثم يتركها ويستقل سيارته (البويك) السوداء ينهب بها الطرقات إلى العنوان الذى خطه له (كلايد) على الوريقة ..

لماذا شعر بالقلق ؟.. لماذا أخذ المسدس معه ؟.. لا يدرى حقًا .. لكنه شعر بالتوجس من هذه الصفقة التى لا يُستعمل فيها المال .. حين ينتهى الحديث عن المال فى المعاملات التجارية يبدأ الحديث عن الدم أو الشرف أو أى شىء آخر .. وهذا النوع من المعاملات يحتاج إلى أن يكون المرء مسلحًا .. قلقًا ..

حىّ قذر من أحياء (نيويورك) هو .. حيث يقف تجار المخدرات فى الظلام ينتظرون (مرضاهم) ليزيدوهم رهقًا .. ، وفتيات الليل يرحن هنا وهناك .. على حين يقف الزنوج جماعات يقطعون الطريق على المارة ملوحين بمداهم ..

وفجأة تمرّ سيارة الدورية بأضوائها الملونة التى تمسح أرجاء الشارع ، فيختفى كل هؤلاء كأنما هى عصا ساحر ..

هو ذا العنوان المذكور .. منزل حقير عتيق مدخله

فى زقاق خلفى ملىء بأوعية القمامة التى تتشاجر فوقها القطط السوداء المشعثة .. وثمة رجل سكير يمسك بزجاجة صغيرة من الكحول يرقد على الأرض فى شبه غيبوبة ..

للحظة شعر (ميلز) أنه فى فيلم سينمائى يمثل الحياة السرية لمدينة (نيويورك) .. وفى توجس أغلق سيارته وصعد الدرج المهدم قاصدًا شقة موظفه (كلايد) .

* * *

- مرحبًا بك يا مستر (ميلز) ..

قالها الرجل وهو يفتح له الباب .. ، ثم قاده عبر صالة عطنة الرائحة إلى مائدة خشبية عتيقة جوار النافذة ..

- أرجو أن تجعل نفسك مستريحًا ..

وبالفعل استراح (ميلز) على مقعد من الخشب الجاف .. وجذب (كلايد) مقعدًا آخر ليجلس على الطرف الآخر من المائدة وأراح كوعيه عليها ورفع ساعديه عاقدًا أنامله تحت ذقنه غير الحليق ، أو الحليق بموسى عمرها قرنان ..

وفوق رأسيهما كان هناك مصباح كهربى يتدلى من سلك طويل إلى ارتفاع شديد الانخفاض مما ألقى ظلالا غير محببة على الإطلاق على وجهيهما ..


وأخرج شيئًا رماه على المائدة .. كان مسدسًا قبيح المنظر ..

بعد دقائق من الصمت بدت ـ كما يقول الكتاب دائمًا ـ كأنها دهور .. قال (ميلز) فى نفاد صبر ممزوج بالرعب :

ـ هلم .. قل عرضك ..

تعود الابتسامة اللزجة إلى وجه (كلايد) ويقول :

ـ لنقل أن الصفقة التى أعرضها عليك هامة جدًا .. إنها تساوى حياتك ذاتها .. والثمن الذى أعرضه عليك قريب من هذا ..

ـ تعنى حياتك أنت ؟

ـ إن كلينا مقامر يا مستر (ميلز) يعانى من إدمان هذا الداء العضال .. الرغبة المجنونة فيما هو أكثر .. العجز عن التوقف فى اللحظة المناسبة .. والحاجة إلى الشعور بالخطر .. أليس كذلك ؟

ـ لا أفهم ما ترمى إليه ..

مد الرجل يده إلى جيبه وأخرج شيئًا رماه على المائدة .. كان مسدسًا قبيح المنظر من النوع ذى الساقية الدوارة ..

ـ ما هذا يا مستر (ميلز) ؟

ـ مسدس .....

ـ هل تعرف (الروليت الروسى) ؟.. المسدس الذى لا يحوى فى خزانته سوى طلقة واحدة ويتبادل المتبارزان تصويب المسدس إلى رأسيهما وضغط الزناد ، حتى تأتى الطلقة من نصيب أحدهما ؟.. أنا أعرض عليك الآن نوعًا من هذا (الروليت الروسى) ..

هبّ (ميلز) غاضبًا .. وقد تصاعد الدم إلى رأسه :

ـ إذن المسألة هكذا .. أنت قد جننت تمامًا وتتوقع منى أن أشاركك هذا العبث .. اسمح لى أن أقول لك ..

رفع الرجل عينيه الشبيهتين بعين القط نحو (ميلز) ، وغمغم بصوت لا انفعال فيه :

ـ هلا تركتنى أواصل كلامى يا مستر (ميلز) ؟.. أنا لن أشترك فى هذه اللعبة .. أنت من سيمارسها أمامى لتسلينى .. فلئن نجوت من أربع طلقات متتابعة فزت بكليتى التى سأكتب لك إقرارًا بتبرعى بها قبل البدء .. ولئن هلكت فإننى سأرتب الأمر ليبدو كأن هناك من قتلك فى هذه الأحياء الإجرامية .. وهكذا تنال زوجتك بوليصة تأمينها كاملة .. !

ببطء جلس (ميلز) لاهثًا متسع العينين .. خيط من العرق البارد ينساب على جبينه ..ويفعم لسانه بمذاق الملح ..

خرجت الألفاظ متهدمة متخاذلة :

ـ أنت .. مجنون .. تمامًا ..

ـ ربما ..

ـ وماذا تستفيده أنت ؟

ـ أستفيد لذة التوتر والإثارة ـ واتسعت عيناه ـ وأستفيد تعذيبك ، وأنت تعرف أننى لم أحبك قط يا مستر (ميلز) كما أنك لم تمل لى لحظة ..

ـ وما هو الضمان أنك تبرّ بوعدك لو أنك خسرت ؟

ـ أنا لم أمتنع يومًا عن دفع خسائرى .. وعلى كل حال سأكتب لك كمبيالة بأى مبلغ تريد .. أستردها بعد إجراء زرع الكلية .. كما سأعطيك إقرارًا موقعًا منى بالتبرع ..

ـ وكيف أعرف أن كليتك تصلح حقًا ؟

مدّ (كلايد) يده إلى جيبه فأخرج حزمة من الأوراق البالية فناولها إلى رئيسه .. وقال :

ـ خذ وقتك فى دراسة هذه التحاليل .. إنها تثبت دون شك أن كلامى صائب .. إن عليها توقيع أطباء محترمين لاشك فى كلامهم .. دعك من أن حالة الأوراق الرثة تدل على أنها معى من زمن ولم أقم بتزويرها خصيصًا لك ..

مدّ (ميلز) يدًا مرتجفة نحو الأوراق .. ثم أحجم ..
من الجنون أن يساير هذا المخبول .. من الخطأ أن ..... ثم عاد يفكر .. من يدرى ؟

لربما كان هذا هو الصواب بعينه .. الحقيقة أن غريزة أخرى تحركت فى دمه : غريزة المقامرة .. التى لم يعبر عنها أديب قط مثلما عبّر عنها العبقرى الروسى (دستويفسكى) فى روايته (المقامر) ..

كان العرض مغريًا لكنه لم يستطع قبوله ..

ـ يمكنك أن تبدأ الآن يا مستر (ميلز) .. أو خذ وقتك فى التدبّر وعد إلىّ أى يوم تريد فى هذه الساعة ..

نظر (ميلز) إلى الرجل بعينين زائغتين ولم يقل شيئًا ..

* * *

مستحيل أن أقبل .. من أدرانى أن هذه ليست ألعوبة قذرة من رجل يرغب فى إذلالى أو الخلاص منى ؟

لكن الحلّ سيكون عادلاً .. حل المشكلة سيوضع فى كفّ الحظ .. ولسوف يلقى الحظ النرد .. وسأكون الرابح فى الحالتين .. إما حياة صحية بلا متاعب .. وإما موت سريع يريحنى ويمنح امرأتى الثراء ..

وحين عرض التقارير الطبية على طبيبه ذى العينين

الغماميتين كان يتمنى أن يخبره الرجل أن الكلية لاتصلح .. ولكن ..

ـ مرحى !.. كيف وجدت هذا المتطوع ؟.. إن كليته تناسبك كأفضل ما يكون .. وإنك لمحظوظ يا صديقى إذ وجدت الواحد فى المليون الذى تناسبك كليته والذى يقبل منحك إياها !

كم ستدفع لهذا الرجل الكريم ؟

نظر (ميلز) إلى الطبيب مبلبل الفكر .. ثم غمغم :

ـ لا شىء .. سألعب معه لعبة صغيرة !!

* * *

قال د . (لوسيفر) وهو يتأمل أوراق (التاروت) المبعثرة أمامه :

ـ وهكذا يا مستر (ميلز) .. سمعت عن قدومى إلى (نيويورك) ..

وهأنتذا قد جئت إلى صومعتى كى تسألنى عن رأيى .

هل قلت كل ما يدور بذهنك ؟

تحشرج صوت الرجل .. ابتلع ريقه بصوت مسموع :

ـ نعم .. كنت دقيقًا يا سيدى ..

ـ الحق أقول لك يا مستر (ميلز) أنك لفى ورطة ..

لكن (التاروت) يقترح الحلّ الصحيح للمشكلة و ....

دوى الصوت :

ـ أرجوكم .. البروستاتا !

ـ صه !.. لا يقاطعنى مقاطع حتى أفرغ من هذا ..

وبدأ د . (لوسيفر) يحكى بقية القصة ..

* * *

فى الثامنة من أحد الأيام ستذهب إلى دار (كلايد) يا مستر (ميلز) .. نعم .. أعرف أنك ستفعل لأنى أفهم تكوينك النفسى جيدًا .. ولكن دعنا نر ما سيحدث ..

إن الرجل يرحب بك فى حماس ، ويدعوك إلى الجلوس على المائدة إياها .. وفى هذه المرة يحضر ورقتين ..

يكتب على الأولى كمبيالة بخمسين ألف دولار ويوقعها ويمنحك إياها ، وعلى الثانية يكتب إقرارًا بأنه يتبرع لك بكليته .

وهنا تخطر لك الفكرة .. لماذا يظن هذا الأحمق أنك غير قادر على أخذ الورقتين والانصراف ، ثم الضغط عليه كى يقبل ؟.. هكذا دون أية تضحيات من أى نوع ؟

لكن الرجل يقرأ ما يدور برأسك من أفكار ، وترى المسدس فى يده مصوبًا نحوك .. مسدسًا غير الذى ستجرى به اللعبة :

ـ مستر (ميلز) .. إنك رجل شريف ملتزم بكلمتك فلا تحاول أن تخدعنى .. هذا المسدس محشو بالكامل وسأطلقه عليك دون تردد لو حاولت أن تفرّ .. وبعد انتهاء اللعبة ـ لو ظللت حيًا ـ لن أقلق من احتفاظك بالورقتين لأنك أنت من سيطاردنى وقتها مطالبًا إياى بالوفاء بالتزامى ..

وهكذا تجلس إلى المائدة يا مستر (ميلز) وقد فهمت أن الرجل أذكى مما ظننته فيه ..

ويحضر لك المسدس ذا الساقية الدوارة ورصاصة واحدة .. فتقوم بتعبئتها .. ثم تناوله المسدس كى يقوم بتدوير الساقية عدة دورات حتى يختلط عليك الأمر ..

بعدها يقول وهو يناولك المسدس :

ـ ستجرب أربع مرات .. لست ملمًا بقانون الاحتمالات كى أحدس احتمالات وفاتك .. لكنى أقول لك إن فرصة العثور على الرصاصة لا بأس بها .. ، بالطبع لن تجرب ست مرات وإلا كانت فرصة العثور على الرصاصة مائة فى المائة .. هل أنت مستعد ؟.. إذن ابدأ ..!

الأدرينالين يتصاعد إلى أذنيك ورأسك ..

أطرافك باردة كالثلج .. قلبك واجف راجف ..

الآن فقط تدرك معنى الخطر .. لكن شيئًا من اللذة يغمرك وسط هذا .. (كلايد) أيضًا سيبدو راضيًا .. ويرتجف نشوة وقد جرفته حمى المخاطرة ..

والآن ترفع فوهة المسدس إلى رأسك و ...

كليك !..

ـ الطلقة الأولى !.. إن احتمالات موتك تتزايد !

ترى كيف يكون الشعور بطلقة رصاص تمزق مخك ؟ بالتأكيد لن تحس بشيء .. فقط يختفي هذا العالم وتجد ذاتك في عالم آخر .

لكنك خائف .. خائف ..

وفي بطء ترفع الفوهة إلى رأسك وتضغط الزناد مغمضًا عينيك .. حتى (كلايد) ذاته أغمض عينيه ..

كليك !..

لقد نجوت من نصف الاحتمالات ، فكيف يكون نصفها الآخر ؟..

ودون أن يطلب منك الرجل ذلك ترفع الفوهة مرة ثالثة إلى رأسك .. وتضغط الزناد ...

....

وأمام عيوننا المذهولة شرع د. (لوسيفر) يجمع أوراق (التاروت) من فوق المائدة المسدسة ويعيد خلطها ..

ـ أ .. د . (لوسيفر) .. ماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ في ماذا ؟

ـ في هذه القصة ؟

ـ آه .. لقد انتهت عند هذا الحد ..!

هتف (ميلز) في حنق وهو يزحف على ركبتيه ـ إذ كان جالسًا القرفصاء ـ ليدنو من المجرى النصاب متسائلاً :

ـ لم أفهم .. هل سأموت أم لا ؟.. أنا لهذا جئت ..

بلا مبالاة قال (لوسيفر) :

ـ يمكن القول إنك لم تمت .. فورقة الموت لم تظهر .. لقد انتهت أوراقك بورقة الكاهنة العظمى التي تشير إلى أن الموت هو نهاية كل كائن حيّ لكنها لا تشير إلى موتك بصفة مباشرة ..

ـ ومعنى هذا ؟

ـ أنصحك أن تخوض هذه التجربة .. فلا يوجد خطر داهم عليك ..

وساد الصمت على حين ازداد (ميلز) شحوبًا ..

ومن خارج الصومعة تعالت ضحكة أنثوية مرحة ..
إنهم يلهون بالخارج على حين تدور هذه المسرحية المرعبة بالداخل ..

ـ والآن .. من التالى ؟

رفع (هارى) ـ ذلك المخبول ـ يده ..

كان مدفوعًا بطبيعته القتالية الميالة إلى التحدى ..

فناوله د . (لوسيفر) الأوراق ليخلطها بمعرفته ..

وكانت هذه هى الحكاية الثالثة ..

* * *

الحكاية الثالثة

(فودو)

بطولة : هارى شيلدون

(النكرومانسر) يمزق جثث الموتى ليعرف أسرارهم .. أما ساحر (دمية الدم) فيمزق أجساد الأحياء ليتعلم منهم) .

الاسم : هارى شيلدون
السن : ٣٦ عامًا .
المهنة : خبير حاسبات آلية .
الإقامة : فلوريدا .
الحالة الاجتماعية : متزوج وأب لطفل واحد .
الهوايات : ككل أمريكى قح يهوى (هارى شيلدون) الترحال ورؤية الجديد . له اهتمام خاص بشعوب وثقافات جزر الكاريبى . يهوى كذلك التصوير الفوتوغرافى .
سمات شخصية :
إن (هارى شيلدون) إنسان متحضر شجاع وإن كان على درجة ما من التهور والاندفاع . وهو صديق حميم لـ د. (رفعت إسماعيل) وقد سبق لنا أن دنونا منه فى أسطورتى (الموتى الأحياء) و (اللهب الأزرق) ، وعرفنا أكثر خصائص شخصيته . ونضيف هاهنا أنه ـ مثل (رفعت) ـ يخلق المتاعب لنفسه حيثما ذهب . وأخيرًا هو زوج مخلص نوعًا وأب طيب .

مالت مسز (مازورسكى) على أذن (مارى) وهمست شيئًا ثم نظرت إلى ساعتها فى قلق :

سألها د. (لوسيفر) وهو يرتب الأوراق على المائدة ، ودون أن يرفع عينيه إليها :

ـ هل ثمة ما يقلق السيدة ؟.. هل تأخرت ؟

قالت السيدة فى شىء من التهيب :

ـ فى الواقع نعم .. إنها الواحدة صباحًا .. وكنت أرغب فى ..

ـ لكننا لم نقرأ (تاروت) الآنسة الصغيرة بعد .. أعدك أن هذه الحكاية لن تكون طويلة .. وبعدها نطالع (تاروت) الفتاة ..

فلنر مالدينا هنا .. آه !.. ورقة الساحر .. ثم ورقة الإمبراطورة .. ثم ورقة العاشق .. فورقة القلعة .. ثم ورقة ...... الموت .. ولا شىء سواه .. الورقة الثالثة عشر برسمها المقيت تلتمع فى الضوء الأخضر أمام عيوننا ..

ملت على أذن (كولبى) هامسًا :

ـ هذا الرجل لا يستعمل سوى أوراق السر الأعظم الاثنتين والعشرين فلماذا لا يستعمل الباقى ؟

ـ فى بعض بقاع الأرض ـ ومن بينها المجر ـ لا يستعملون سوى أوراق السرّ الأعظم .

ـ وما هى أوراق السرّ الأصغر ؟

ـ هى أربع مجموعات : مجموعة السيوف وعددها أربع عشرة ورقة تنتهى بورقة تمثل ملكًا فملكة ففارسًا .. ثم مجموعة العصى ولها ذات الترتيب .. ثم مجموعة الكئوس .. ثم مجموعة الدراهم .. وبهذا تغطى هذه المجموعات شئون الصحة والعمل والحظ والمال .. أما الملك فيرمز إلى ......

ـ لا مناقشات جانبية يا (كولبى) !

كذا دوّى صوت (كلارتون) المعدنى يأمرنا أن ننتبه إلى ما سيقول النصاب الأكبر .. فلذنا بالصمت ..

قال د . (لوسيفر) وهو يحدق فى (هارى) :

ـ إن لك لقلب محارب .. عهدك أن تثور أولاً ثم تفكر .. وإن هذه لشيمة الشرفاء الخالين من الضغائن .. لكن لك قصة رهيبة .. ولك أحكيها دون إبطاء ..

* * *

هناك من سطا على منزل (هارى) ..

هذا هو ما أدركه الرجل حين عاد إلى داره مع زوجته (لندا) وطفلهما الصغير الجميل (جيمى) ..

كان الباب الأمامى مهشمًا ... ولم يحتج الرجل لكثير ذكاء كى يعرف ما حدث بينما هو فى حفل زفاف مع أسرته ..

هرع إلى هناك .. ودخل من الباب المهشم ليجد آثار العبث فى كل موضع من البيت الجميل المنسق ..

كانت خزانته الحديدية مفتوحة .. هناك من صهر قفلها بلهب (الأوكسى أسيتيلين) ليسطو على محتوياتها ..

وياله ـ ذلك اللص ـ من أحمق !..

إن (هارى) لم يكن ثريًا يومًا .. كل ما كان بالخزانة هو مائتا دولار وبعض مخططات (الكمبيوتر) الهرمية التى أعدها لنظام مصرفىّ مستحدث ..

الواقع أن (هارى) ورث هذه الخزانة عن أبيه .. وكما أن أباه لم يستطع قط أن يضع فيها ما هى جديرة به كذلك كان شأن (هارى) الذى ورث ضيق الحال عن أبيه ..

لهذا أثار دهشته أن يقوم أحد بسرقة هذه الخزانة الحمقاء التى لا تحوى أى شىء تقريبًا ، وأجرى اتصالاً هاتفيًا بالشرطة .. فجاء رجالها وقاموا برفع البصمات والتقاط بعض صور للباب .. ثم عادوا أدراجهم .. دون كثير أمل فى معرفة السارق ..

* * *

عندما جلس (هارى) و (لندا) فى الصباح يفرزان الموجودات التى اختفت من الخزانة ، تذكر (هارى) أن هناك شيئاً بالغ الأهمية قد فقد من داخلها .. كيف نسى هذا الشىء ؟

لم يصارح (لندا) بأنه قد تذكر ما حدث ..

لم يخبرها بأنه يعرف الشىء الوحيد الناقص فى الخزانة ..

إنه يتذكر الآن .. طبولاً .. أجساداً راقصة يتناثر العرق من مسامها .. جماجم تشتعل النيران من عيونها .. (كوديكا) .. (كوديكا) .. الموتى الأحياء ينشرون سلطاتهم فى تلكم البقعة من (جامايكا) .. ثم الحفل .. ذلك الجو الشيطانى المشئوم ..

هنالك خلف الشجرة يختفى مع د . (رفعت) يراقب ما يحدث ، ويقوم بتسجيله صوتاً وصورة على حين تقف تلك الساحرة الحسناء تحرق دُمى .. وأية دُمى !

(رفعت) هو من تنبه إلى الشبه القوى ما بين الدمية و (لندا) زوجة (هارى) .. ولم لا ؟.. ألم تهاجم إمرأة ما (لندا) فى السوق وتسرق خصلة وافرة من شعرها الأشقر هذا الصباح ؟!

نعم .. (هارى) يذكر مناورة (رفعت) اليائسة



لم يصارح (لندا) بأنه قد تذكر ما حدث ..

لم يخبرها بأنه يعرف الشىء الوحيد الناقص فى الخزانة ..

- التى نجحت برغم كل شىء - من أجل سرقة الدمية .. ثم الفرار ..

ولم يجرؤ (هارى) على تصديق كل ما قاله (رفعت) من سخف عن (الفتيش) تلك الدمى التى تصنع مشابهة لشخص ما .. ومن المفترض أن ينتقل الإيذاء من الدمية إلى هذا الشخص(*) ..

لكنه بدأ يصدقه ..

وحين رأى ما دها (لندا) حين أخذ (جيمى) الصغير يتسلى بأطراف الدمية المماثلة لها .. حين رأى ذلك لم يعد يشك فى الموضوع من أساسه .. وأيقن أن هناك أسرارًا فى هذا الكون لا يعرف الإنسان عنها حتى القشور ..

وإذ عاد إلى (جامايكا) كان قد أزمع أن يدارى هذه الدمية إلى الأبد .. لم يجرؤ على دفنها أو إغراقها أو حرقها طبعًا ، لأن معنى هذا أن ينسف (لندا) دون رجعة ..

(*) هذا الأسلوب من أقدم الأساليب للسحر فى التاريخ ، ولسوف نقرأ عنه أكثر حين نطالع (أسطورة الطوطم)

[د. رفعت إسماعيل]

لهذا وضعها فى كيس من البلاستيك .. ودسّ هذا الكيس فى كيس ورقى أكبر حجمًا .. ثم وضع هذا الأخير فى الخزانة ..

ومن يومها نسى كل شىء عن (الفتيش) وعن رحلته التعسة إلى (جامايكا) مع ذلك النحس (رفعت إسماعيل) ..

لكنه اليوم يتذكر ..

ويعرف أن هناك خطرًا جامحًا يهدد (لندا) ..

* * *

« خذ الحذر فى التعامل معه .. فكل ما سيحدث له سيحدث لها .. تخيل مثلاً أن فأرًا قرض منه قطعة ، أو أن رماد سيجارة ملتهبًا سقط فوقه » !.

[الأم (مارشا) فى (أسطورة الموتى الأحياء)]
صفحة (٨٨)

* * *

والآن يمكن تخيل ما سيحدث ..

سيعود السارق إلى داره .. يعدّ لنفسه قدحًا من الشراب ويشعل لفافة تبغ فظيعة الرائحة (إن الخمر والسجائر هما خبز اللصوص) .. ثم يجلس على الفراش متربعًا .. وبلعاب يسيل يبدأ فى عدّ الدولارات

ويشعر بخيبة أمل لا توصف .. ثم يمدّ يده ــ والأمل يتواثب فى صدره ــ إلى الكيس الورقى ويمزقه .. ويمزق الكيس البلاستيكى بداخله فيجد هذه الدمية القبيحة ذات الشعر الأشقر !..

عندئذ من الطبيعى أن نتوقع أنه سيثور ..

سيمزق أوصال الدمية .. أو يرميها فى المرحاض .. أو يضعها فوق شعلة الموقد ليحيلها إلى كتلة من الكربون ..

فماذا سيصيب (لندا) وقتها ؟!..

* * *

ولما كان (هارى) من طراز متسرع حار الدماء ، فإنه لم ينتظر دقيقة واحدة .. إن الوقت يمضى وقد مرت ليلة كاملة على السرقة .. وهو لا يعرف السبب الذى جعل اللصّ ينتظر كل هذا الوقت ، لكنه ــ حتمًا ــ لن ينتظر أكثر ..

أدار قرص الهاتف طالبًا صديقًا قديمًا له .. (جابرييل) ابن الأم (مارشا) الساحرة الجامايكية .. ، كان (جابرييل) بالصدفة فى (فلوريدا) منذ شهرين يبحث عن مزيد من الدولارات ، كان يعمل نادلا فى ناد ليلى على سبيل رفع الدخل .. وبالمناسبة يشكل المهاجرون

من (الكاريبى) جالية لا بأس بها فى (أمريكا) ويسمونهم (سبيكس) .. وهى كلمة تحمل رنينًا ما من الإهانة لا يفهمها سوى الأمريكان ..

ــ أريد (جابرييل) ..

سمع صوتًا ذا لكنة أجنبية يتساءل :

ــ من يريده ؟.. هل أنت شرطى ؟

ــ لا .. أنا صديق ..

دوّى الصوت ينادى :

ــ (جابرييل) .. ثمة رجل يدعو نفسه صديقًا ها هنا !

ثم صوت (جابرييل) نفسه :

ــ هاللو ..

ــ (جابرييل) .. أنا (هارى شلدون) .. أنا بحاجة لعونك يا رجل ..

وللرجل حكى القصة كاملة .. إن هذه الأجواء ليست غريبة على (جابرييل) .. بل هو تربى فى أحضان السحر الأسود إذا صح هذا التعبير .. ومن الصعب أن تكون أمك ساحرة (فودو) كما تعلم ..

ــ أنت فى مأزق يا مستر (شلدون) ــ قال (جابرييل) ــ إن هذه الدمية لخطر حقيقى .. وأرى أن تأتى إلىّ لنذهب إلى أمى ..

ـ وهل هى هنا ؟

ـ طبعًا .. إنها تحب الولايات المتحدة ولم تكن لترضى بأن أتركها وحيدة فى (كينجزتن) .. هاك عنوانى .. أراك هناك بعد ساعة .

* * *

وتم اللقاء في الموعد المرتقب ..

ومن النظرة الأولى أدرك (هارى) أن الساحرة العجوز قد أحالت سكنها المتواضع فى هذا الحىّ إلى نسخة أخرى من شقتها فى (جامايكا) .. الجلود المعلقة على الجدران .. والأثاث النابى عن الذوق .. والسيجار المشتعل فى يدها .. بل خيل لـ (هارى) أنها نقلت الرائحة الخانقة معها ..

لقد ازدادت المرأة شيخوخة .. لكن عينيها احتفظتا بذات البريق .. وطالت أظفارها أكثر .. ، وصافحت (هارى) صائحة بصوتها الرفيع :

ـ هيه !.. أنت هنا إذن أيها الأشقر ؟.. وأين صديقك الأصلع كثير الكلام والتدخين ؟.. ألم يزل حيًا على الأقل ؟ اجلس .. آه ! .. أرى أنك مازلت أحمق متسرعًا .. لماذا لم تعهد لى بتلك الدمية كى أجردها من سحرها ؟ ولكن لا عليك .. إن الأم (مارشا) تعرف .. تعرف كل شىء .. هيه !..لماذا لا تجلس ؟!.

جلس (هارى) على طرف الأريكة البالية .. وقال :

ـ أرى يا سيدتى أن حيويتك لم تتزحزح ..

ـ هذا حق .. ولكن ليكن معلومًا لديك أن الأم (مارشا) لا تفعل شيئًا دون مقابل ..

ـ تعنين المال ؟..

ضحكت ضحكتها الرفيعة المجلجلة الشبيهة بصرير باب :

ـ لا طبعًا .. هى هى !.. يبدو أنك لم تعرف الأم (مارشا) بعد ..

* * *

هنا تدخلت أنا فى الكلام .. فلم أقو على أن أظل صامتًا إلى هذه النقطة .. سألت (هارى) فى دهشة :

ـ (هارى) .. هل ما حدث قد مرّ بك حقًا أم أن الدكتور (لوسيفر) يتنبأ لك ؟

فى غموض ابتسم الرجل .. ونظر نحو د . (لوسيفر) .

ـ (هارى) .. يجب أن تقول ..

واصلت الإلحاح .. فنظر لى (هارى) والابتسامة على شفتيه .. كان يتعمد المحافظة على الابتسام كديدن من يتظاهرون بالثقة بالنفس وإن لمحت خللاً واضحًا فى هذا القناع الأجوف ..

غمغم وهو يحك رأسه :

ـ الواقـع أن هـذا حـدث منذ شهـر .. وقد نسيت الموضوع تمامًا .. لكن .. أظن أن د . (لوسيفر) هـذا يعرف ما يتكلم عنه ..

للمرة الأولى بدأ الفأر يلعب فى عبى كمـا يقولـون .. مددت يدى إلى لفافة تبغ وأشعلتها متجاهلاً التحذير الصامت فى عينى (كولبى) و (كلارتون) صـاحب الدار ..

كان (لوسيفر) قادرًا بالتأكيد على معرفة قصة مسز (مازورسكى) ربما من (مارى) صديقة ابنتهـا ، وربما من د. (هندريكس) طبيبها النفسى (هل كـان هذا هو اسمه ؟) ... وكـان (لوسيفر) قـادرًا علـى معرفة قصة (ميلز) فلربما ثرثر بها هذا الأخير ..

ولكن كيف ـ أكاد أجن ـ استطاع أن يعرف شيئًا عن (هارى) ؟.. (هارى) الذى أعرف جيدًا أنـه لـم يحك شيئًا لأحد .. (هارى) الذى لم يفارقنى منذ أتينا هذا البيت .. حتى أنا لم أسمع بهذه الحكاية قط ..

وتأملت ـ وسط حلقـات الدخـان ـ وجـه (لوسيفر) الشيطانى ، بينما عيناه النفاذتان عارمتا القوة تجوبـان وجوهنا .. الثقة بالنفس فى صورة إنسان .. ومن حين لآخر يميل على مستر (كلارتون) مضيفنا يتبادل وإياه

بضع كلمات هامسة .. ثم دوى صوته الجهورى :

ـ لا داعى للمزيـد من المقاطعات .. وأنـت يامستـر (كولبى) .. هـلا خرجت لـتريح نفسك قليلاً بدلاً مـن جلوسك هنا تتواثب كالبرغوث ؟

فى امتنان وثب (كولبى) علـى قدميـه .. غـادر الصومعـة مهرولاً بينما دخان البخور يمتزج بدخـان سيجارتى .. ومـن مكـان مـا تنبعـث موسـيقا شـرقية ممسوخة من التى يستعملها الغربيون دون أن يفهمـوا كنه (الربع تون) ..

وعاد صوت البير الراضى عن نفسه يتكلم ..

* * *

قامت الأم (مارشا) بعمل رائع ..

عمل رائع إذا كان لنا أن نطلق هذا على كل التعـاويذ التى راحت ترددها .. وكل البخور الذى أطلقته .. وكـل التلوى المحموم حول جورب (لندا) الذى كان (هارى) قد سرقه لها باعتباره شيئًا حميمًا من أشيائها ..

ثم إنها سكبت بعض الماء على النار التـى أضرمتها فـى الجـورب .. فتصـاعد دخـان خـانق الرائحـة مـن الجورب المصنوع من ألياف صناعيـة .. شـرعت تـردد عبارات لا حصر لها واللعاب يتناثر من فيها ..

وحين انتهت ـ أخيرًا ـ مدت يدها المخلبية إلى (هارى) داعية إياه أن يمسح وجهه بالرماد ..

ـ هكذا يمكننا القول إننا عزلنا المرأة الشقراء عن دميتها .. ونحن الآن فى مأمن ..

ـ إذن أستطيع العودة إلى دارى ..

ـ بالتأكيد .. لكن لا تنس ماقلته لك .. لقد قلت إننى أفعل ذلك مقابل ثمن ..

ـ وأنا مستعد لدفعه دون إبطاء ..

قالت وهى تجفف يديها من الماء .. وتبتسم فى ثقة :

ـ أريد بعض قطرات من دمك !

* * *

ـ هل حقًا تعنين ما تتحدثين عنه ؟

كذا سألها (هارى) ذاهلاً غير عالم بمَ يرد عليها ..

ـ الأم (مارشا) لا تمزح أيها الأشقر ..

سألها وهو ينظر نحو (جابرييل) باحثًا عن مهرب :

ـ هل لى أن أعرف السبب ؟

ـ قلت إن هذا هو أجرى وليس لك أن تسأل .. ولكن ثق إن الأم (مارشا) لاتنتوى إيذاءك .. لنقل إنها بحاجة ماسة إلى دماء شاب أبيض شجاع من أجل (الفودو) .

وجد (هارى) أن عليه ألا يبدل طابع الشاب الشجاع غير المؤمن بالخزعبلات .. ، فمدّ يده إلى الأم وعلى وجهه ابتسامة الواثق من نفسه ..

ابتسمت المرأة فى رضا وتناولت كأسًا زجاجية ، وسكينًا .. ثم أمسكت بكف (هارى) المفتوحة ، وبنصل السكين أحدثت شقًا سطحيًا صغيرًا ثم تركت الدم تسيل منه قطرات إلى الكأس ..

ـ كذا .. لقد انتهيت تمامًا ..

وناولته قطعة من ألياف الكتان بللتها بزيت خاصّ .. وأمرته أن يضغط بها الجرح بعض الوقت ..

ثم أومأت له كى ينصرف ، وقالت إن الأمور ستكون على ما يرام بخصوص (لندا).فليس عليه أن يقلق على شيء ..

* * *

قال د . (لوسيفر) :

ـ هكذا .. يمكننا القول إن هذا هو ما حدث لصديقنا (هارى) منذ شهر أو أكثر .. ، ولا شك فى أنه نسى الأمر تمامًا .. ولكنى ذكرته به لأنه قد قارف خطأ جسيمًا ..

المرء لا يترك قطرات من دمه لدى ساحرة (فودو)

ويرحل .. صحيح أنك تعرفها .. صحيح أنها صديقة قديمة لك .. صحيح أنها أنقذت حياتك من (الزومبى) يومًا ما ..

لكنك ــ والحق يقال ــ لم تكن حذرًا ، فالمرء لا يستطيع أن يثق بساحرة .. إن هؤلاء النسوة يتقلبن كالبحر ذاته .. ولديهن لا ينتهى من الألاعيب الشيطانية .

إليك أوجه نصحى .. هل ما زالت هذه المرأة وولدها داخل الولايات ؟..هل تستطيع الاتصال بهما ؟

قال (هارى) فى حيرة :

ـ نعم .. ولكن لمـ ....؟

ـ لأنك ستدعو (جابرييل) إلى كأس من الشراب ، ثم تأخذ الكأس وعليه بصماته إلى الشرطة .. عندئذ يتضح لك أن السارق الذى فتح خزانتك هو بعينه (جابرييل) !!

تبادلت و (هارى) نظرة حيرى .. ثم توليت السؤال :

ـ ولماذا يفعل ذلك ؟

ـ لأنه يريد أن تجىء إليه وإلى أمه بكامل إرادتك طالبًا العون .. وقد فعلت ودفعت الثمن من دمك الذى منحته لهما بإرادتك الحرة ، ودون ضغوط خارجية .. هل فهمت ؟

ـ حتمًا لا ..

قال د . (لوسيفر) وهو يمد يده طالبًا بعض القهوة :

ـ ألم تسأل نفسك لماذا يسطو أحد على خزانتك أنت بالذات ويتجشم كل هذا العناء مع أنك لم تشتهر بالثراء يومًا ؟.. الأمر واضح لا لبس فيه .. كان يريد شيئًا ما من الخزانة غير المال .. وهذا الشىء هو الدمية ..

ـ ولماذا يريدها ؟.. ولماذا يريد دمى ؟..

ـ لأن هناك أسلوبًا سحريًا يعشقه سحرة (الفودو) .. هو أسلوب (دمية الدم) .. اصنع (فتيشا) لإنسان ـ مثل (لندا) ـ وضع عليه قطرات من دم إنسان يحبه ـ مثلك فى هذه الحالة ـ ثم اغمس الدمية فى مياه المستنقع ثلاثة أيام .. ثم ادفنها فى الرمال شهرًا .. ، والنتيجة هى أن صاحب (الفتيش) يتلاشى تمامًا بينما تحل جميع صفاته ومزاياه فى الساحر ..

ـ تعنى أن هذا نوع من فنون (النكرومانسى) ؟

ـ لا .. (النكرومانسى) يمزق جثث الموتى ليعرف أسرارهم .. أما ساحر (دمية الدم) فيمزق أجساد الأحياء ليتعلم منهم ..

ـ ولماذا تريد الأم (مارشا) هذا ؟!

- لأنها تريد أن تتحول إلى أمريكية شقراء !.. إن هذا منطقى جدًا خاصة منذ جاءت إلى (الولايات المتحدة) ، ووجدت نفسها تحت خط الفقر مع ابنها .. لقد فقدت كل سلطة لها وكل نفوذ ، وهى تتمنى لو كانت أمريكية بيضاء كالأخريات .. لو أنها لم تكن (سبيكس) ..

تنهد (هارى) ونظر إلى أوراق اللعب المشئومة المتراصة على المائدة .. وتساءل :

- لو كان كلامك صحيحًا .. فلماذا لم يحدث هذا حتى الآن ؟

- ثلاثة أيام وشهر .. تلكم هى الفترة اللازمة لوقوع التلاشى .. وأنت منحت المرأة دمك منذ شهر .. أى أن التحول قد يقع فى أية لحظة من الآن فصاعدًا ..

ثم رشف رشفة من القدح .. وأردف :

- عليك أن تسترجع الدمية منها بأى ثمن .. وإلا ...

ثم شرع يكمل القصة لـ (هارى) ..

* * *

ذات يوم ستعود لدارك يا مستر (شيلدون) شارد الذهن .. فأنت عاجز تمامًا عن استرداد الدمية .. ولم تستطع أن تجد (جابرييل) فى أى مكان ..

وحين ذهبت إلى مقر الأم (مارشا) لم تجدها ..

ستفكر لحظتها فى مدى خطورة تجاهل الأمر .. لم لا تتجاهله ؟..

إن الأمر كله مجرد كلام قاله د . (لوسيفر) ، وليس بالضرورة هو الصواب .. لماذا لا يكون هذا الأخير مجرد نصاب ؟..

وتنادى على (لندا) ..

- (لنداااا) !.. حبيبتى .. أنا قد عدت ..

فلا تجدها .. تقول لنفسك إنها فى المطبخ حتمًا .. تصعد إلى هناك فلا تجدها كذلك .. هل خرجت ؟.. هل تزور جارتك ؟

وأين ذهب الشيطان (جيمى) ؟..

لن تصدق ما حدث إلا حين ترى بقع الدم على (الموكيت) خارج غرفة النوم .. ستدخل .. وعندئذ ترى كل هذا الهول على الأرض .. فوق الفراش .. وعلى الجدران . وآثار كفها المخضبة بالدم ..

لم تستطع البائسة أن تفهم ما يحدث لها ..

أما الشىء الذى سيثير انتباهك حين تهدأ العاصفة الأولى ..

الشىء الذى ستراه ما بين الدموع التى تغمر مقلتيك .

الشيء الذى ستتذكره على الفور ..

هو جورب أسود صغير نصف محترق يلتف حول عنقها .. الجورب الذى أعطيته لساحرة (الفودو) منذ شهر واحد ..

وإلى جوار الجورب ترى ألياف كتان مألوفة الشكل .. وقد تلوثت بقطرات من دماء ..

إن الأم (مارشا) لامرأة أمينة قلّ أن تجد مثلها فى هذا الزمن ..

امرأة لا تنسى إعادة ما اقترضته !..

* * *

انتهت القصة ..

ولمحت (هارى) يحاول التظاهر بأنه لا يرتجف .. لكن هذا زاد الأمر سوءًا .. ومن الذى يجرؤ على لومه ؟..

مددت يدى نحو معصمه مواسيًا .. وهمست :

ـ إن هذا إلا رجم بالغيب يا (هارى) .. فلا تقلق .. ما الذى يدفع (مارشا) لهذا ؟.. أعتقد أن هذه المرأة أقوى بمراحل من أن تلجأ لحيلة تافهة تجعلها بيضاء ..

قال (هارى) فى توتر :

ـ لا أدرى .. لكن القصة ملأتنى قلقًا .. يجب أن أذهب للمرأة وأحاول استرداد الدمية منها ولو كلفنى هذا تحطيم عظامها ..

ـ هذا بفرض أنها أخذتها حقًا !

دوّى صوت د. (لوسيفر) البيرى يقول بتؤدة :

ـ والآن من التالى ؟.. إن صحبتكم لتملؤنى حبورًا .

قلت فى كياسة :

ـ ألا تجد أنه من الغريب أن نكون كلنا منحوسين إلى هذا الحد ، ثم نحتشد فى مكان واحد ؟

ـ لا غرابة ـ قالها وهو يخلط الأوراق ـ « إن من جاءوا هنا إنما هم بالفضول مدفوعون .. أى أنهم

يهوون الخوارق ، ومنهم من جاءوا طلبًا للنصح أى أنهم فى ورطة حالية .. وكلا النوعين يمكن أن يرى الجانب المظلم من القمر .. ، والآن .. من التالى ؟

آه !.. الآنسة الصغيرة .. إنها تريد الانصراف مع صاحبتها السيدة (مازورسكى) .. هلا أخذت الأوراق وقمت بخلطها لى يا صغيرتى ؟

فعلت الفتاة ذلك وهى ترتجف .. حتى أن الأوراق سقطت منها مرارًا ... كان وجهها الملائكى الشفاف يعكس أقسى علامات الرعب ، وقلت لنفسى فى دهشة : ترى أى سر مخيف تطويه هذه الفتاة المرهفة ـ كأنها (سنوهوايت) ـ خلف ضلوعها ؟.

هوذا د. (لوسيفر) يتكلم ...

تعالوا نصغ إليه ...

* * *

الحكاية الرابعة

(والآن نرجوكم الصمت !)

بطولة : مارى جوليم

(لقد جاء دورك يا صغيرتى .. لكنها ـ أعدك ـ لن تكون لحظات طويلة !) .



الاسم : مارى جوليم

السن : ١٧ عامًا .

المهنة : طالبة .

الإقامة : نيويورك .

الهوايـات : هى فتـاة رومـانسية تحب الشعر والموسيقـا وتعزف عزفًا رديئا جدًا على البيانو ، لها مجموعة محدودة من الصديقات أهمهن (لويز مازورسكى) . تحب أجواء الرعب وعوالم ما وراء الطبيعـة بصفتها سوداوية المزاج . ولتكونن هذه الهواية وبالاً على رأسها .

صفات عامة :

إذا ما تغاضينا عن هوايتها اللعينة هذه لأمكننا القول دون تحفظ إن (مارى) فتاة عاقلة رصينة تنتمى بطباعها وأخلاقها إلى عصر الخمسينات الجميل .. ودليلنا علـى هـذا هـو أن مسز (مازورسكى) تثق بها بشدة ..

بأنامل رقيقة شرعت (مارى) تخلط الأوراق ..

ثم ناولتها عبر المائدة إلى الطبيب المجرى غريب الأطوار ... وعادت تثنى ساقيها تحتها كقطة صغيرة .

ـ معـذرة يا د. (لوسيفـر) !.. دورة الميـاه.. إنها البروستـ ..

دوّى صـوت (كولبـى) المرتبك المحـرج .. لكـن د . (لوسيفر) أخرسه بإيماءة حازمة من يده ..

ثـم إنـه أمسك بـأوراق (التـاروت) وشرع يفرزهـا على المـائدة .. متجـاورة .. متماسة .. أمـا أنـا فكنت أحاول أن أفرد ساقىّ اللاتين تخشبتا من جلسة القرفصاء هذه ..

لمـاذا يصرّ هـذا النصّاب علـى الجلـوس علـى الأرض ؟.. مـا الفـارق لـو مـارس ألعابـه هـذه فـوق مائدة ؟.. إنه فقط يحاول أن يحدث تـأثيرًا سيكولوجيًا علينا .. وهذا التأثير ناتج عن ارتباط السحر بالشرق .

وبمعنـى أدق : بـألف ليلـة وليلة .. ، لكن كل هـذا يكـون صبيانيًـا إذا كـان (لوسيفر) غربيًـا يجلس مـع مجموعة من الغربيين ..

على كل حال .. مددت يدى إلى رباط حذائـى ، ودون تردد انتزعت الحذاء نفسه .. و .. آه ه ه !.. يا للنشوة والراحة !..

لمحت أنف (لوسيفر) يتقلص .. وعلى وجهه تعبير اشمئزاز .. دعه يتساءل عن مصدر هذه الرائحة .. فلو



بعد هذا جاءت ورقة (القلعة) التى تظهر رجلين تقتلهما الصاعقة وهما يحاولان اقتحام قلعة كبيرة ..

كان عرافًا حقًا لما عجز عن معرفة أن هناك من انتزع حذاءه تحت المائدة المسدسة !..

والآن دعنا نتأمل الأوراق ..

* * *

أولاً : ورقة الحكيم الجالس ممسكًا بعصا الحكمة .. وقد جلس النسر تحت قدميه .. ، علماء النفس يقولون إنها ترمز إلى نمو البديهة لدى الإنسان .. ويقول (كورت) إنها ترمز إلى سلطة البابا فى القرن الرابع الميلادى ، بينما يجمع مستعملو (التاروت) عامة على أنها ورقة تعنى الرحمة ـ الشفقة ـ الكياسة ..

بعد هذا جاءت ورقة (القلعة) التى تظهر رجلين تقتلهما الصاعقة وهما يحاولان اقتحام قلعة كبيرة ..

ثم جاءت أوراق الشيطان .. فعجلة الحظ .. ثم ـ فى النهاية ـ ورقة الموت إياها !.. لقد صار هذا مملاً ..

إن هذا الـ (لوسيفر) شبيه بلاعبى الثلاث ورقات فى بلدنا .. وأكاد أظنه يخفى ورقة الموت هذه فى كمه ليبرزها كل مرة ..

سمعت صوته البيرى يتردد فى السكون :

ـ لعمرى أنت تلعبين بالنار أيتها الفتاة .. ولك أحكى كل شىء .. لكننى لا أبغى مقاطعة ..

ـ لكن يا سيدى ..

* * *

كانت (مارى) مولعة بكل ما هو غريب ..

صحيح إنها فتاة تقليدية مهذبة أحسن أهلها تربيتها ؛ إلا أنها كانت تملك ذلك الولع المريض بالرعب .. الرعب الذى يولد تلك الرجفة غير المسبوقة فى روحها .

كانت ـ تذكر ـ فى السابعة من عمرها ، حين ارتكبت خطأ ما .. (ماذا كان بالضبط ؟) .. المهم أن أمها رأته خطأ فادحا ..

جرتها من ذراعها إلى القبو .. رائحة العطن وخيوط العنكبوت..ثم إنها أوصدت الباب عليها .. الظلام الدامس .

« مامى !.. مامى ! » .. أرجوك !.. سأكون فتاة طيبة !

قالتها مرارًا .. بكت .. ضربت برأسها الحائط دون جدوى .. الظلام هو حين تصحو كائنات لا تدرى كنهها لكنها جميعًا ذوات أنياب ومخالب .. كلها قادمة كى تلتهمها ..

الفكرة تمزقها .. لكنها ـ فى الوقت ذاته ـ تمتعها .. تجعلها ترتجف بالنشوة واللذة .. ثم ينتابها الذعر فتصرخ أكثر ..

وحين انتهت هذه الخبرة كانت (مارى) قد صارت

مدمنة رعب ، وكان هذا يناسب شخصيتها الهادئة الصموت ..

فى فراشها قرأت كل ما كتب عن المذءوبين ومصاصى الدماء والقبور التى تنفتح ليلا لتبرز منها أيد ذوات مخالب ..

إن الرومانسية والسوداوية والرعب شىء واحد متداخل .. وإلا فكيف كتبت (مارى شيللى) زوجة الشاعر الشهير قصة (فرانكنشتاين) ؟

وكيف مزج (إدجار آلان بو) الرعب بالشعر ؟..

لكن (مارى) لم تصارح مخلوقًا بعالمها الخاص خاصة و (لويز) صديقة عمرها لم تعطها الاهتمام المناسب ..

وهنا ظهرت (هارييت) على الساحة ..

* * *

قابلنا (هارييت) قبل هذا ..

وعرفنا أنها حمراء الشعر صاخبة خرقاء ..

وعرفنا أنها شاحبة اللون تعشق الظلام والليل ..

وعرفنا أنها شخصية مغناطيسية تسجن كل من يدخل دائرتها بين خيوط العنكبوت .. ولقد كانت (هارييت) عنكبوتا كبيرًا ..

* * *

فى تلك الليلة جلست أربع فتيات فى دار إحداهن يتبادلن المزاح والقفشات ..

فإذا دنونا بالكاميرا أكثر وجدنا بينهن فتاة ناحلة ترتدى منظارًا غليظًا .. هذه الفتاة هى (لويز مازورسكى) ، .. الفتاة الأخرى حمراء الشعر التى لا تكف عن الضحك الخبيث هى (هارييت) .. أما هذه الفتاة الملائكية البتول فـ (مارى) .. والفتاة الرابعة السمراء التى ترتدى البنطال القصير هى (هيلين) .. صاحبة الدار ..

وكما نرى لا تكف (هارييت) عن المزاح ـ البذىء نوعًا ـ والكلام عن الفتيان ، بينما (لويز) و (مارى) شديدتا التحفظ تضحكان على سبيل المجاملة لأنهما لم تعتادا هذا ...

تقول (هارييت) وهى تضع قدميها على الأريكة :

ـ دعونا نلعب لعبة مسلية ..

ـ مثل ماذا ؟

ـ مثل محاولة تحضير الأرواح !

* * *

برغم احتجاج (هيلين) و (لويز) رجحت كفة (هارييت) و (مارى) ..

لمَ لا ؟.. إنها لعبة لا بأس بها .. ولم تجربها واحدة منهن ربما باستثناء (هارييت) التى يخيل لهن أحيانًا أنها تعرف كل شىء فى الكون ..

إن الأمر سهل .. ستحضر (هيلين) فرخًا من الورق تكتب على هامشه الحروف الأبجدية كلها .. وتحضر كوبًا زجاجيًا ..

وبعد إطفاء الأضواء وترديد تعاويذ معينة تضع كل فتاة منهن إصبعًا على قاعدة الكوب .. عندئذ يبدأ الكوب فى التحرك مشيرًا إلى الحروف تباعًا .. والحروف تقول كلمات ما ..

ـ لكنها مخاطرة ! ـ قالت (لويز) : لقد قرأت أن هناك طريقة ما لصرف الأرواح وإلا أصرّ بعضها على البقاء !

ـ هراء ! ـ قالت (هارييت) ـ كل الأرواح تنصرف بمجرد أن ينتهى الكلام معها ..

وهكذا ..

فى الضوء الخافت المخيم على المكان ، جلست الأربع صديقات حول الكوب الموضوع فوق الورقة ، والورقة بدورها على الأرض ..

ـ روح من نطلب ؟

تساءلت (هيلين) .. فأجابتها (هارييت) دون تردد :
ـ لقد أثيرت تساؤلات عديدة حول (جاك) السفاح .. كثيرون زعموا أنهم عرفوا شخصية ذلك السفاح الذى أثار ذعر (لندن) فى القرن الماضى ، بل إن أحد المحكوم عليهم بالإعدام صاح وهو على خشبة المشنقة : أنا جا..... ، ثم انفتحت المصطبة ولقى حتفه قبل أن يعرف الجلاد ما إذا كان هو (جاك) السفاح أم لا .. ، إن هذا الرجل للغز من ألغاز تاريخ الجريمة .. وأعتقد أننى راغبة فى سؤال روحه عن هذا السرّ ..

ارتجفت (مارى) من هول الفكرة :
ـ إنك تزيدين الرعب رعبًا .
ـ ولِمَ لا ؟.. أليست الإثارة هى ما نريد ؟
ثم اتسعت عيناها الخضراوان الشبيهتان بعينى قط .. وهمست بصوت كالفحيح :
ـ والآن .. نرجوكم الصمت !

* * *

طلبوا روح (جون دوليتل) ذلك الرجل الذى لم يكمل كلامه على المشنقة .. وظفقوا ينتظرون ..
لكن دون جدوى .. كانت التجربة فاشلة من اللحظة الأولى .

وفى ساعة متأخرة من الليل انصرفت ثلاث فتيات فى سيارة (هارييت) الرياضية عائدات إلى بيوتهن .. على حين ودعتهن (هيلين) على الباب .. ثم دلفت إلى الداخل ..

فما إن دخلت (مارى) دارها .. وما إن بدأت تنزع ثيابها حتى سمعت جرس الهاتف يدق .. فهرعت إليه ترفع السماعة قبل أن يصحو واحد من أهل الدار الذين ناموا منذ ساعات ..
ـ هاللو !
ـ (مارى) .. أنا (هيلين) ..
ـ ماذا هنالك يا (هيلين) ؟
سمعت صوت صديقتها الملهوف :
ـ ذلك الكوب .. الكوب الذى لعبنا به تلك اللعبة اللعينة ..
هل كان فى وضع مقلوب حين تركتم الدار ؟!
يا له من سؤال غريب !.. ردت (مارى) فى غير اكتراث :
ـ بالطبع لا أذكر .. ولكن .. أحسبه كان مقلوبًا .. بالتأكيد كان كذلك ..
فى لهفة تردد صوت (هيلين) المرتجف :

- حين أوصلتكم للباب وعدت إلى حجرتى ، وجدت الكوب فى وضع معتدل .. فوجهته إلى أعلى ..

- أنا لا أرى أهمية لما ...

- ألا تفهمين يا حمقاء ؟ أنا لم ألمس الكوب .. كما لم تمسسه إحداكن وهذا يعنى أن هناك من قلبه ..!

- ومع ذلك من المحتمل أن واحدة منا قلبته وهى شاردة الذهن ..

- لم يحدث يا (مارى) .. لم يحدث .. أستطيع أن أقسم على ذلك ..

أنا خائفة يا (مارى) .. خائفة !

تنهدت (مارى) فى صبر :

- إن هذا كله هو تأثير اللعبة - إن كان لنا أن نسميها كذا - على أعصابك .. إن توترك يجعلك تعيشين أوهامًا قاسية ..

ثم ابتلعت ريقها ووجهت لصديقتها دعوة ترجو ألا تقبلها .. لو أنها تعرف العامية المصرية لسرّها كثيرًا تعبير (عزومة مراكبية) فهو يعبر بدقة عمّا تفكر فيه الآن ..

- هل تريدين أن آتى لأمضى الليلة معك ؟

نعم .. فإن (هيلين) ستمضى هذه الليلة وحيدة ..

فأبوها منفصل عن أمها .. وأمها طبيبة يضطرها عملها إلى البيات خارج الدار أحيانًا كثيرة .. إن هذه البائسة ستمضى ليلة رهيبة حقًا .. لكنها لم تزل قادرة على التظاهر برباطة الجأش :

- لا يا (مارى) .. سأكون بخير .. ليلة طيبة ..

- ليلة طيبة ..

* * *

لماذا لم تصدقها ؟

لماذا لم تعر الأمر اهتمامًا ؟..

كان بإمكانها أن تذهب إليها .. وكان بإمكانها أن تدعوها إلى المبيت معها .. وكان بمقدورها أن تطلب لها الشرطة ..

لكنها لم تفعل شيئًا من هذا .. ذهبت لتنام وتحلم بعشرات الكوابيس .. بأكواب ملأى بالدماء سرعان ما تنقلب لتسيل على ثوبها .. وترى (هارييت) تبتسم كاشفة عن أسنان ناصعة البياض إلى حدّ مريب ، بينما الدم يسيل من شعرها الأحمر ..

وحين صحت فى الصباح غارقة فى العرق كريه الرائحة ، أدركت أنها ستقطع علاقتها مع (هارييت) الحمقاء من الآن فصاعدًا ..

لن تكون مفتاحًا فى ميدالية (هارييت) تتسلى بهزه لإحداث صليل .. الأخريات صرن مفاتيح لكنها لن تكون ..

وبعد قليل وصلتها مكالمة من (لويز) تخبرها أن (هيلين) قد لقيت مصرعها !...

* * *

تحت أغصان شجرة الصفصاف العجوز جوار سور المدرسة ؛ التقت الفتيات الثلاث : (هارييت) ـ (مارى) ـ (لويز) ..

كن واثقات أن أحدًا لا يسمعهن ولا يختلس إليهن النظر .. وكان موضوع الندوة هو : ماذا حدث لـ (هيلين) ؟..

لقد سمع الجيران صرخات قادمة من الشقة .. وأسرعوا بمحاولة اقتحام الباب .. ثم طلبوا رجال الشرطة ..

وجاءت الشرطة وقاموا باقتحام الباب الموصد .. ثم فتشوا الشقة بعناية ، فلم يجدوا شيئًا .. لا جثث فتيات ولا دماء ولا آثار عنف .. هذه شقة نظيفة منسقة غادرها صاحبها ..

لم يستطيعوا أن يلوموا الجيران ، فما داموا قد

أجمعوا على أنهم سمعوا صراخًا فمن العسير أن يكون هذا وهمًا .. ولكن ماذا حدث بالضبط ؟

الإجابة كانت فى زقاق خلفى قذر بالمدينة ..

والذى وجدها هو متسكع كان يسير هناك ، حين وجد جثة فتاة فى مقتبل العمر وقد خنقت بحبل غليظ .. لا داعى طبعًا لوصف حال الجثة لأن هناك سيدات هاهنا .. لكن هذه الصورة تقليدية جدًا ، ويعرفها هواة قراءة هذه الأشياء المريعة فى صفحة الحوادث بالجريدة .

كما لا داعى طبعًا أن نهين ذكاء القارئ بالثرثرة عن بحث رجال الشرطة عن صاحبة الجثة .. إنها (هيلين) طبعًا ..

ولكن من قتلها ؟.. ولماذا غادرت دارها فى ساعة كهذه ؟

لم يستطع البوليس أن يعرف من كان معها فى تلك الليلة .. لكن صديقاتنا الثلاث يعرفن .. ، ومن الواضح أنهن لن يخبرن رجال الشرطة بشىء حتى لا يقعن فى مصيدة الشكوك والاستجوابات ..

لكن (هارييت) أبدت ملحوظة مروعة :

ـ (جاك السفاح) كان يقتل باستعمال حبل من الليف حول العنق !..

نظرت إليها (مارى) واتسعت عيناها رعبًا :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أرى أن الأمر لا يمكن أن يكون مصادفة !..

ـ ماذا تعنين مرة أخرى ؟

ـ كلامها عن الكوب .. لقد كان (جون دوليتل) هو (جاك السفاح) بالفعل .. ومن الواضح أن روحه قد لبت نداءنا .. لكنها لم تنصرف ..!.. إن الروح تتسلى بقتلنا وقد بدأت بصاحبة الدار أولاً ..

ـ يا للهول !.. (هارييت) !.. لا تقولى هذا ..

ـ لكنه الشيء الوحيد الممكن قوله .

وفى حزم نظرت للفتاتين المذعورتين .. وصاحت :

ـ لنأخذ الحذر إذن .. ولا داعى لذكر كلمة واحدة عن لعبة تحضير الأرواح هذه .. فلا أحد يعلم عنا سوى أننا من شلة (هيلين) ، سنحضر الجنازة غدًا ونبكى كثيرًا ثم ينتهى الأمر ..

ونظرت إلى ساعتها واحتضنت حافظة أوراقها قائلة :

ـ هيا بنا ننصرف الآن .. ولتعمل كل منا على حماية نفسها .. ولتأخذ رأى أهل العلم فى الموضوع إذا استطاعت ..

ثم رفعت أصبعها السبابة محذرة :

ـ والآن .. أرجوكما الصمت !

* * *

ومرت أيام ..

وكما لنا أن نتوقع .. ابتعدت (مارى) عن صديقتيها (لويز) و (هارييت) وقد لاحظت التبدل الذى بدأ يطرأ على طباع الأولى .. لكنها لم تستطع أن تجد له تفسيرًا ..

وكانت تلك المحادثة بينها وبين الأم .. وبالمناسبة كانت (مارى) هى صاحبة الاقتراح على الأم باستشارة البروفسير (هندريكس) الذى كانت (مارى) تثق برأيه تمامًا .

إن (مارى) لا تدرك أن التغير الذى طرأ على (لويز) سببه تحول هذه الأخيرة إلى مصاص دماء .. ولو عرفت لأصابها الهلع .. ولحكت هذا للبروفسير .. إن الربط ما بين وفاة (هيلين) وتحول (لويز) إلىمصاص دماء كان سيلقى الضوء على القصة كلها .. كان سيلقى الضوء على (هارييت) .

لكن (مارى) لم تعلم ..

فقط ذهبت إلى البروفسير وحدها .. وله حكت القصة كاملة طالبة رأيه ..

لكن الرجل لم يكن يملك ما يقوله سوى اعتقاده (أن هناك شيئًا شريرًا فى هذه القصة) .. ، وأوصاها – كالعادة – باستشارة عالم روحانى مجرى اسمه (لوسيفر) .. ، وها هى ذى قد جاءت إلى حفلنا الليلة ومعها أم (لويز) .. امرأة أخرى ملآى بعلامات الاستفهام التى تبغى لها جوابًا ..

ومال د. (لوسيفر) مقربًا وجهه من (مارى) متسائلاً :

– أترانى أخطأت يا (مارى) ؟!

* * *

لم يخطئ د . (لوسيفر) فى حرف ..

فالقصة كانت كما حكاها دون تغيير ..

قال د . (لوسيفر) وهو يتأمل الأوراق :

– مرة أخرى تتجاهلين يا (مارى) علامات واضحة كشمس الظهيرة .. من هى (هارييت) .؟ أين تسكن ؟

– لا أعلم .. تقول إنها من (بنسلفانيا) أصلاً ، وقد التحقت بالمدرسة المسائية منذ شهرين ..

– هكذا ! – هتف فى انتصار – فتاة حمراء الشعر شاحبة الوجه لا تظهر إلا فى الليل .. ولا أحد يعرف أين تسكن ...

– تعنى أنها .. أنها مصاص دماء ؟

– بل أعنى أنها ساحرة .. هناك كتاب صدر فى عام ١٤٨٧ فى عهد البابا (إينوسنت الثامن) اسمه (مطرقة الساحرات) .. هل قرأه أحد ؟!(*)

همهم (كولبى) و (كلارتون) أن نعم .. فالكتاب معروف لهما بوصفهما من (المتخصصين) .. ، وفى رفق سأل (كلارتون) الفتاة :

– هل فى جسد (هارييت) هذه علامة مميزة .. مثل وشم أو خال غريب الشكل ؟!

حملقت الفتاة فى المائدة بعض الوقت .. ثم غمغمت :

– ربما .. على لوح كتفها الأيسر ..

بانتصار هتف د . (لوسيفر) :

– وهذا هو القول الفصل .. يقولون إن الساحرات يكن على علاقة بالشيطان ، وهذه العلاقة تترك أثرًا معينًا فى أجسادهن .. أظن أن (هارييت) هذه ساحرة شريرة تلهو بكن .. مرة عن طريق روح (جاك السفاح) ومرة عن طريق لعنة مصاصى الدماء ..

(*) بسبب هذا الكتاب الأحمق أعدمت محاكم التفتيش نساء بريئات كثيرات .

أشعلت لفافة تبغ .. وتساءلت وأنا أثنى فخذى تحتى :

ـ وماذا تقترحه أنت ؟

ـ الحرق للساحرة .. والوتد لمصاصة الدماء !

تبادلت و (مارى) نظرة حيرى .. ثم سألت الرجل :

ـ كنت أظنك تمارس السحر ، ولم أتوقع أن تكون لديك هذه الآراء الحازمة بصدد الساحرات !.. كنت أنتظر منك موقفًا أكثر تفتحًا نحو زميلات العمل !

ـ هناك سحرة وهناك سحرة .. إن (هارييت) هذه تمارس سحرًا أسود مشئومًا .. وأعتقد أنها كالأفعى نفعها لا يذكر وضررها يفوق الوصف .. والخلاص منها هو السبيل ..

وأشار نحو (مارى) الممتقعة .. وقال :

ـ دعينى أحك لك ما سيحدث .....

* * *

لأنه رجل لطيف طيب ..

ولا أحد ينكر ذلك ..

* * *

ملأى بالأسئلة والحيرة تعودين إلى ممارسة عملك وحياتك الطبيعية أى (مارى) ..

الآن أنت تخشين كل شىء .. ترتجفين فرقًا من كل

ظل .. ولم يعد الرعب يروق لك كما كان فى الماضى ..

إن ما سمعته عن (لويز) وصورة (هيلين) المقتولة لا تبرح خيالك ..

حتى أنك ـ فى دارك ـ تصيرين عاجزة تمامًا عن البقاء وحدك فى غرفة ، حتى العزاء والسلوى تجدينهما فى صحبة طفل صغير مثل أخيك .. أو عجوز مثل والدتك.

لكن العلامات تتوالى ..

لماذا تجدين كل كوب تتركينه مقلوبًا ؟.. وما سر الدم على منشفتك التى تتركينها فى الحمام ؟.. وما سر الرقم (٣) المكتوب على البخار المتراكم فوق مرآة الحمام ؟.. ما سر ذات الرقم تجدينه مكتوبًا فوق غبار الطاولة ؟

ستنادين كل فرد بالدار تسألينه :

ـ لماذا كتبت هذا على المرآة ؟

وسيجيب ـ مع هزة من الكتفين ـ قائلاً :

ـ لم أكتب شيئًا .. لماذا تسألين ؟

* * *

لماذا تتكرر معاكسات الهاتف هذه الأيام ؟

فى كل مرة يدق الجرس فترفعين السماعة .. فلا تسمعين صوتًا على الجانب الآخر ..

ـ هالو !.. هالو !

لا شــيء ســوى اللهــاث البطــيء المتحشــرج .. والانتظار .. لماذا بالضبط ؟

ـ هاللو !.. أجب أيها الوقح !

وتضعين السماعة فى عصبية .. ثم ترفعينها مرة أخرى آملة فى سماع من يتكلم ..لكن لا جدوى .. دائمًا الصمت المطبق واللهاث ..

* * *

وحين تغادرين الدار ليلاً ستعرفين أن هذه هى رحلتك الأخيرة ..

أنت لا تريدين ، لكن قدميك تتحركان كأن لهما حياة خاصة بهما .. تنسابين كقطرة الندى متسللة من الدار .. تعالجين الأقفال .. تضعين الحذاء فى قدميك وتخرجين إلى الشارع المظلم .. وتمشين ..

صوت الكلاب تنبح من بعيد .. والبرد .. تضمين معطفك على جسدك المرتجف وتواصلين المسير .. إلى أين ؟..

لا تدرين ..لكن قدميك تعرفان الطريق ..

وتدخلين ذلك الزقاق المظلم المهجور وتقفين هنيهة تنتظرين ، ثم تسمعين صوتًا يناديك :

ـ (مارى) !.

صوتًا هامسًا رقيقًا .. فتنظرين إلى الوراء .. لتجدى (سيلويت) ذلك الرجل واقفًا عكس النور فلا تبدو لك ملامحه .. يسدّ طرف الزقاق وفى فمه لفافة تبغ مشتعلة تبدو كجمرة من جهنم ..

ـ لقد انتظرت قرنًا من أجل هذه اللحظة ..

ويمدّ يده فى جيبه ليخرج شيئًا ما .. شيئًا أقرب إلى حبل ملفوف ..

عندئذ تفهمين حقيقة رقم (٣) ..

أنت الثالثة فى دائرة الانتقام .. دائرة ألاعيب (هاربيت) ..

لقد جاء دورك يا صغيرتى .. ومع (جاك السفاح) العائد ..

لكنها ـ أعدك ـ لن تكون لحظات طويلة !..

* * *



ويمدّ يده فى جيبه ليخرج شيئًا ما .. شيئًا أقرب إلى حبل ملفوف ..

انتهى (لوسيفر) من سرد قصته ..

جمع أوراق (التاروت) وراح يعيد خلطها ، على حين تنهدت الفتاة فى رعب .. وتحسست عنقها كأنما تشعر بحبل (جاك السفاح) عليه ثم تساءلت :

ـ هل .. هل هذا هو كل شىء ؟

ـ بالفعل ..

ـ وكيف أمنعه ؟

ـ الجواب يكمن فى (هارييت) ..

نظرت الفتاة إلى الأم .. ثم أعلنتا أنهما راغبتان فى الرحيل .. فقد تأخر الوقت كثيرًا ، فأشار لهما (لوسيفر) بيده إشارة وقور معناها أنهما تستطيعان الانصراف ..

ـ شكرًا لك يا د. (لوسيفر) ـ قالت مسز (مازورسكى) ـ : على كل ما قدمته من أجلنا .. أنت أنرت لنا الغد المظلم .. ولقد وثقنا بعلمك فاستحققنا أن نعرف ..

هزّ الوغد رأسه فى تواضع .. لم أر فى حياتى تواضعًا هو أقرب إلى الغرور من هذا .. ، وانتظر حتى نسقت المرأتان ثيابهما وغادرتا الصومعة .. ثم نظر نحونا .. وتساءل :

- بقى اثنان .. أنت يا (كولبى) .. و د . (رفعت) .. بمن أبدأ ؟

قلت له محتجًا :

- نسيت مستر (كلارتون) ..

- إنه قد مرّ بتجربة (التاروت) بالفعل .. وذلك منذ أسبوعين ..

- إذن إبدأ بـ (كولبى) ..

- ليكن ..

وناول الأوراق إلى (كولبى) .. وابتسم ..

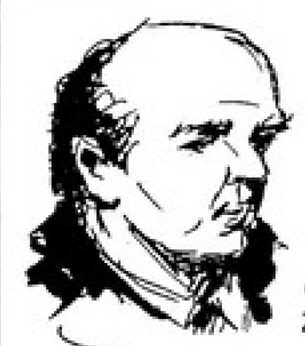
ابتسامة لها ألف معنى ..

* * *

الحكاية الخامسة

(مذعوب !)

(ستطلق مسدسك .. ولكن ماذا تستطيع رصاصة فضية واحدة أن تفعل ؟) .



الاسم : سام كولبى .
السن : ٥٠ عـامًا .
الإقامة : نيويـورك .
المهنة : نصـاب .
سمات شخصية : أعتقد أننـا عرفنـا الكثيـر عن (كولبى) فى القصة السابقة (أسطورة بو) .. ولمن لم يقرأها نقول إنه معدوم البراعة بائس جدًا .. وبرغم أنه يهودى فهو لا يملك مالا يذكر ، ولم يحرز نجاحًا مهنيًا من أى نوع . وعامة هو رجل بلا خطر .. طيب القلب لكنه لا يبعث الراحة فى النفس ، وأنت لا تستطيع أن تثق بـه أكثر من ثقتك بثعبان عجوز لم يعد قادرًا على اللدغ .
الحالة الصحية : لا يحتاج الأمر منك أن تكون إخصائيًا فـى المسـالك البوليـة كـى تعـرف أن (بروستاتا) هذا الرجل تحتاج إلى استئصال عاجل .

بدأ د . (لوسيفر) فـى تصفـح أوراق (تـاروت) (كولبى) .. ولقد بدا لى غريبًا أن يعكف ساحر على قراءة طالع ساحر آخر ..

ثم وجدت الأمر ليس غريبًا إلى هذا الحد .. فلكم ذهبت إلى طبيب عيون أو قلب برغم أننى طبيب أنا الآخر ..

لن أحكى لك ما أظهرته الأوراق منعًا للإملال .. فكلانا لا يفهم منها شيئًا .. سأحاول أن أدخل إلى القصة مباشرة ..

ظهر رجل عند مدخل الحجرة لم أتبين وجهه جيدًا فى الضوء الخافت .. وتساءل :

ـ د . (لوسيفر) .. هل ستظل وقتًا أطول هاهنا ؟.. إن الكثيرين قد عادوا إلى ديارهم وكذا سائق السيارة ينتظر ..

ابتسم (لوسيفر) وغمغم :

ـ كذلك (كولبى) ود . (إسماعيل) ينتظران .. إننى سأبقى هنا فترة أطول يا عزيزى ..

نظرت إلى ميناء ساعتى .. إنها الثالثة صباحًا ..

شعرت بمعدتى تتقلص جوعًا .. يبدو أننى هضمت ما أكلت من كرفس بسرعة غير متوقعة .. كما أن علبة سجائرى صارت فارغة كعقل ضفدع ، وأخشى ألا أجد من يبيع تبغًا عند عودتى ..

لكنى وجدت (هارى) يتابع الكلام فى شغف ، فقررت

أن أنتظر بعض الوقت .. لكن لن أسمح لهذا المعتوه (لوسيفر) أن يقرأ طالعي .. أنا أعرف طالعي جيدًا : سأعيش بعض الوقت ثم أموت .. وموتى آت لا محالة .. ربما الآن وربما بعد مائة عام .. لا يهم ..

وكذا .. جلست القرفصاء أصغى لما يقول د. (لوسيفر) عن (كولبى) ..

* * *

يقول الأب (جونز) وهو يرسم علامة الصليب :

ـ هناك مذعوب فى دار (هالبروك) .. أنا واثق من هذا .. لكننا بحاجة إلى من يفهم هذه الأمور ..

* * *

إن الناس يحبون من ينصب عليهم ..

لهذا وحين وقعت الواقعة ؛ لم يجد الأب (جونز) من يلجأ إليه سوى (سام كولبى) ..

على الأقل هو يعرفه منذ زمن .. وصحيح أن (جونز) ـ كقس كاثوليكى ـ لم يكن يحب اليهود البتة ، فإنه وجد أن الوقت ليس مناسبًا لمعاداة السامية إذا كان (كولبى) هذا سيقدم الخلاص لمجموعة من الأرواح المعذبة ..

وإلى دار (كولبى) ذهب فى تلك الليلة بردائه

الكهنوتى الأسود الطويل وعلى رأسه قبعة سوداء مما أعطى مظهره كله صرامة أثارت الرعب فى قلب اليهودى النصاب ..

وبعد احتساء أقداح الشيكولاتة الساخنة التى لا يشرب (كولبى) سواها .. وبعد ماذهب (كولبى) ثلاث مرات إلى دورة المياه بسبب البروستاتا كما تعلمون ..

بعد كل هذا وجد الأب الوقت ملائمًا كى يفتح الموضوع ..

قال وهو يحرك ساقًا ليضعها فوق ساق :

ـ لك جئت يا (كولبى) لأننى لا أعرف لمن ألجأ ..

هز (كولبى) رأسه فى تواضع .. وجلس يجفف عرقه :

ـ على الرحب والسعة ..

قال الأب وهو يمسك كوب الشيكولاتة بكلتا راحتيه :

ـ الأمر يتعلق بقضية .. لنقل إن لها حساسية خاصة بالنسبة لى كرجل كنيسة .. لا أدرى ما إذا كنت تفهم قصدى ؟.

ـ استمر أرجوك ..

ـ حسن .. أنت تعلم أننا نتلقى اعترافات عديدة فى مهنتنا ولا يحق لنا الكلام عنها بأى ثمن .. لكننى أجد

نفسى مضطرًا إلى أخذ رأيك حتى نتمكن من منع جريمة قبل وقوعها الأمر الذى سيمزق ضميرى أبد الآبدين ..

ثم تقلص وجهه .. بدت تجاعيده فى الضوء الخافت كأنما أخاديد فى أرض صحراوية لم تعرف المطر دهرًا .. وأردف :

– أتراك تعرف شيئًا عن المذءوبين ؟

* * *

المذءوب من أقدم الأساطير فى تاريخ البشر .. ، وهى أسطورة الرجل الآدمى الذى يتحول إلى ذئب عندما يكتمل القمر بدرًا .. ويعيث فى الأرض فسادًا ليلة كاملة ، ثم فى الصباح يعود إلى طبيعته ويكون من العسير معرفة شخصيته(*) ..

ويوصى العالمون بهذه الأمور من يهاجمه مذءوب أن يحرص على إصابته أو انتزاع مخلب من يده .. عندئذ يمكن فى الصباح العثور على صاحب الإصابة أو من فقد إصبعًا من يده .. ويقتل بنصل من فضة ..

يقول العلماء إن خرافة المذءوب هى تفسير شعبى

(*) تحدثنا بشىء من التفصيل عن هذه الأسطورة فى (أسطورة الرجل الذئب) .

لمرض (البورفريا) الناجم عن اختلال تمثيل الحديد فى الجسم .. من ثَمَّ يكتسب المريض سحنة شاحبة وأنيابًا حادة وأظفارًا طويلة .. ويستطيل شعر حاجبيه ويتجعد جلده ، ويهاب نور الشمس ..

أى أنه يتحول – حرفيًا – إلى ذئب بشرى ، لهذا سمى العلماء هذا المرض باسم (مرض الرجل الذئب) ..

على أن هناك شواهد عدة مريبة على هذه الأسطورة ..

لقد وصفها أطباء يونانيون لهم ثقلهم .. ومنهم (مارسيليوس السايدى) من (أركاديا) حين تحدث عما يدعى (لايكا أنثروبى) .. أى (حالة التصور الذئبى) حيث يأكل المريض اللحم النيئ ويعوى كلما رأى القمر بدرًا ..

حتى العلماء العرب شديدو الرصانة كتبوا عن هذا المرض .. ومنهم (ابن سينا) و (الزهراوى) ، وقد دعوه بـ (القطرب) بضم القاف والراء .. وهى محاولة لتعريب حروف (لايكا أنثروبى) فى صورة قريبة من فهم العقل العربى ..

إن (كولبى) لم ير فى حياته مذءوبًا ..

لكنه لا يرفض وجودهم أبدًا ..

* * *

ـ نعم .. أعرف الكثير عنهم فى الواقع ..
ـ إذن قد وجدت ضالتى ..
ووضع الأب القدح على المائدة المستديرة .. وقال :
ـ منذ شهر زارنى واحد من آل (هالبروك) فى الكنيسة ...
أنت تعرف أن المعترف يدخل غرفة مظلمة حتى لا أرى وجهه أو أعرف من هو ، فى حين أجلس أنا بالخارج أصغى إلى كلماته .. وبهذا لم أعرف قط من هو ..
ـ قلت إنه من آل (هالبروك) ..
ـ نعم .. إن آل (هالبروك) يترددون علىّ بانتظام للاعتراف .. وأنا أعرفهم من لهجتهم الإيرلندية الواضحة .. ثم إن كل رجال الأسرة لهم ذات الصوت المميز .. ، صدقنى أننى واثق بأنه من هذه الأسرة ..
ـ وهل هم كثيرون ؟
ـ حوالى أربعة رجال ـ بما فيهم الأب ـ وامرأتان .. الأم والابنة .. وهم عائلة منغلقة متدينة ..
ـ أرجو أن تستمر ..
ـ قال لى هذا المعترف : إنه يريد أن أعاونه لأنه بحاجة إلى الخلاص من اللعنة التى تلاحقه .. لقد

هاجمه مذءوب منذ يومين فى شوارع (نيويورك) .. وهو لم يتبين شيئا من ملامحه سوى أنه كان يرتدى ثياب رجل عادى إلا أن رأسه رأس ذئب ..
ـ إن هذا صعب التصديق .
ـ ربما .. لكن الرجل بدا لى صادقًا .. قال إن المذءوب جرحه فى ذراعه ثم فرّ عبر الأزقة ، وعاد (هالبروك) هذا إلى داره .. وأخفى هذه التجربة المروعة عن ذويه .. زعم لهم أنه جرح فى حادث سيارة .. وقام بتضميد الجرح ... المشكلة هى أنه يخشى أن يتحول بدوره إلى مذءوب حين يكتمل القمر بدرًا ..
ـ وماذا قلت له ؟
ـ بالطبع قلت له إن كل هذا وهم .. ونصحته بأن يعود إلى داره ويصلى كثيرًا .. ولسوف يمرّ كل شىء على ما يرام ..
ابتسم (كولبى) ابتسامته الطفولية الوديعة :
ـ إذن لقد انتهت المشكلة ..
هزّ القس رأسه فى إنهاك وقال :
ـ بالطبع لا .. ماحدث بعد ذلك هو أننى قرأت فى جريدة الأمس أن ابنة (هالبروك) قد لاقت حتفها .. ، وجدوها فى الفناء الخلفى للدار ممزقة تمامًا .. وكان

ضياء القمر يغمر المكان ، حضر رجال الشرطة وتفحصوا الجثة ثم أعلنوا أن من فعل هذا مجنون حتمًا .. مجنون وله أظفار مخلبية طويلة وأنياب .. ، أضف إلى هذا أن آثار الأقدام التى شوهدت جوار الجثة هى أقرب إلى آثار أقدام كلب كبير ـ أوذئب إذا أردنا الدقة ..

ـ وحُفظ الموضوع ..

ـ بالتأكيد .. لا يوجد دليل على شىء ... لكننى ـ أنا وأنت ـ نجد شيئًا مألوفًا فى كل هذا ... يبدو لى أن ما قاله ذلك البائس الذى كان يخشى أن يصير مذءوبًا .. يبدو لى على شىء من الصواب ..هناك مذءوب فى دار (هالبروك) ..

ـ وما المطلوب منى ؟

ـ أريدك أن تجده .. وتمنحنى فرصة تخليص روحه كامنة ، فإن كان ذلك فهو خير .. وإلا كان علينا أن نعدمه !

ثم مدّ يده وصافح (كولبى) فى حرارة :

ـ إننى أعتمد عليك يا سيدى !

* * *

لم يستطع (كولبى) أن يرفض العملية ..

ولم يكن هذا عن حبّ للعمل الإنسانى أو مقت للمذءوبين .. كل ما هنالك هو أنه لم يطق أن يقول لا لعرض مغر كهذا .. لقد تصاعد الغرور الشخصى إلى رأسه .. بالإضافة إلى أنه لم يعتد أن يعلن جهله بما يجهل .. دائمًا هو (كولبى) العبقرى الذى يفهم فى كل شىء ولا يخفى عليه شىء ..

ثم هو ـ وهذا لا ينكر ـ جائع منذ أسابيع ، وبحاجة إلى بعض المال حتى ولو كان هذا المال ملوثًا بالدماء التى تسيل من مخالب المذءوبين ..

وهكذا ...

قضى يومين يطالع كل ما كتب فى مراجع السحر عن (الويروولف) أو (المذءوب) أو (مسخ الذئب) أو (القطرب) .. أيًا ما كان اسم هذا الداء ..

ثم إجماع عام فى المراجع كلها على أن الخلاص للمذءوب لا يكون إلا بالموت .. موت بالفضة دائمًا ..

وهكذا جلس (كولبى) إلى مكتبه ، وشرع يسبك رصاصة من الفضة دسها فى مسدسه .. ثم وضع المسدس فى جيبه وذهب إلى موعده مع الأب (جونز) .

* * *

العقبة الأولى : هى دخول الدار بشكل طبيعى يسمح بملاحظة أفراد الأسرة ..

العقبة الثانية : هى معرفة المذءوب .. وهى مهمة عسيرة حقًا .. لأنه سيكون شخصًا عاديًا تمامًا ..

وقد رتب له الأب (جونز) الأمر ..

ذهب معه إلى دار (هالبروك) ، وزعم لرب الأسرة (برنارد هالبروك) المحامى المتقاعد الذى بلغ من الكبر عتيًا .. زعم له أن (كولبى) هو رجل تحرٍّ مكلف بالتحقيق فى سلسلة جرائم غامضة كلها تماثل ما حدث للفتاة ، وأوصاه خيرًا بـ (كولبى) لأن بعض التعاون معه قد يجنب ضحايا آخرين ميتة بشعة ..

وأدرك (كولبى) أن القسّ محبوب فى هذه الدار وذو شعبية ؛ لأن الحبّ انعكس عليه هو نفسه فى صورة استقبال ودّى محبب للنفس .. واستطاع (كولبى) أن يصنف الأسرة ..

١ ـ الأب : المحامى الإيرلندى والشيخ الداهية .

٢ ـ الأم : عجوز شمطاء حبيسة مقعد متحرك .

٣ ـ أوسكار : الابن الأكبر ـ ٢٨ سنة ـ محاسب .

٤ ـ كلود : الابن الأوسط ـ ٢٦ سنة ـ مدرس .

٥ ـ جورج : الابن الأصغر ـ ٢٤ سنة ـ مدرس .

وكانت الجلسة ـ التى استغرقت ساعتين ـ عادية جدًا خالية مما يثير الشبهات ، لا شىء يثير الريبة

سوى أن (كلود) يبدو كالذئب فى ملامحه الصارمة وعينيه الرماديتين الميتتين .. ، وسوى أن (جورج) يصدر صوتًا غريبًا ـ كزئير الضوارى ـ حين يلتهم اللحم ، وسوى أن (أوسكار) له أظفار أطول من اللازم ، وسوى أن الأب يصدر صوتًا كعواء الذئب كلما سعل .

مجرد عائلة بريئة أخرى ..

ولا شىء يريب ..

* * *

قال د. (لوسيفر) :

وهكذا غادرت الدار يا (كولبى) دون تقدم يذكر .. ، لكنك لم تنس أن تخبرهم أنك ستعود يوم الرابع عشر من (يوليو) لتواصل التحريات .. ، وطبعًا لا داعى للقول إن هذا هو اليوم الذى يكتمل فيه القمر بدرًا ..

ومطّ عنقه إلى الأمام وابتسم :

ـ سيكون هذا بعد أسبوع من الآن .. أليس هذا صحيحًا ؟

ـ بلى .. بلى .. كل ما تقول صواب ..

ـ وهل لديك الآن منهاج عمل معين ؟

قال (كولبى) فى حماس :

ـ سأقضى الليل معهم .. الجميع فى مكان واحد ..

ـ وإذا تحوّل أحدهم إلى مذءوب ..

ـ سيتلو الأب (جونز) صلواته .. فإن لم تجد كانت رصاصة من الفضة كافية جدًا ..

ضحك د. (لوسيفر) ضحكته الطويلة المقيتة .. ثم قال :

ـ لن يكون الأمر لعبة أطفال يا (كولبى) .. دعنى أحك لك ما سيحدث ، وكما أراه فى أوراق (التاروت) .

* * *

ليلة الرابع عشر من (يوليو) ..

الليلة يكتمل القمر بدرًا .. ويكشف مذءوب عن نفسه ويلقى ساحر متحمس نهايته .. أو لعله المذءوب الذى سيلقاها ؟..

ليلة الرابع عشر من (يوليو) ..

هأنتذا يا (كولبى) فى قاعة الاستقبال لدى هذه الأسرة اللطيفة .. وقد وضعت المسدس ذا الرصاصة الفضية فى جيبك ، وحولك يجلس أفراد الأسرة غير فاهمين لما تعتزمه ..

يقول الأب فى تململ :

ـ أنا لا أدرى لماذا جمعتنا يا مستر (كولبى) ..

ولماذا تصرّ على أن نحتشد جميعًا فى مكان واحد ؟

تقول أنت فى ذكاء وأنت ترمقهم :

ـ صبرًا سيدى .. فهناك أشياء ستتضح بعد قليل ..

ثم تنظر إلى الباب فى قلق :

ـ أرجو منك أن توصد الباب وتعطينى المفتاح !

ـ لحظة !.. لو كنت تظن أن ...

ـ أنا لا أظن شيئًا يا سيدى .. أرجوك أن تطيعنى ..

ـ ليكن .. آمل أن تنتهى هذه المهزلة حالاً ..

ويأمر الأب ابنه الأكبر أن يذهب فيوصد الباب .. ثم يعود بالمفتاح ليناوله للأب .. وينظر هذا إلى (كولبى) نظرة تقول :

هأنذا أمضى معك إلى نهاية هذا الهراء ..

عندئذ تتساءل يا (كولبى) فى توتر :

ـ هل النوافذ موصدة ؟

يتنهد الأب فى سأم :

ـ ف ف ف ! .. نعم .. هلا أوضحت الآن ؟

ـ ليس بعد .. إننى ..

وهنا يثب الابن الأوسط (كلود) متوترًا .. يجىء يمينًا ويسارًا .. كل عضلة فى جسده تهتز .. ثم يقول :

ـ أنا .. أنا بحاجة إلى الخروج ..!.. لابد .. !

لابد ؟..

مرحبًا بك يا صديقى فى نادى المذعوبين .. تميل فى مقعدك نحوه .. وعلى وجهك ترتسم علامة النصر :

– لماذا تحتاج إلى الخروج يا (كلود) ؟

– لأن .. لأننى أريد ذلك !

– ولماذا تريد ذلك ؟

– إن لى ارتباطات قـ .. قوية .. أنت لا تفهم ..

– بالعكس .. أفهمك تمامًا .

ويجلس الفتى متوترًا تلك الجلسة التى هى إلى الوقوف أقرب .. وتبدأ الشكوك تحتشد فى ذهنك .. إن الأب (جونز) لم يأت هذه الليلة ، ومعنى هذا أنك حرّ فى التصرف .. مطلق القرار ..

ولكن .. عليك الانتظار أكثر حتى تتأكد ..

* * *

وتمر الثوانى .. تتجمع فى صورة دقائق .. والدقائق تحتشد فى شكل ساعات .. ساعة ونصف على وجه التحديد ذهبت فيها إلى الحمام أربع مرات لأنها البروستاتا كما يعلم الجميع ..

علامات التوتر تزداد على (كلود) .. يئن .. يمسك ذراعه .. ثم إنه يدارى وجهه بعض الوقت .. و ...

ويسقط أرضًا ..

يهرع (أوسكار) نحوه ليرفعه بين ذراعيه القويتين بينما الأم تولول من مقعدها المتحرك ..

ينيمه (أوسكار) على الأريكة .. فتسير أنت مسرعًا لترى وجهه ذا العينين المغمضتين .. لا جدال هنالك ..

لم يكن وجه (كلود) مشعرًا كهذا من قبل .. لم تكن أسنانه حادة إلى هذا الحدّ .. ولم تكن له هذه المخالب ..

ثمة تحوّل لاشك فيه يحدث الآن ..

تمدّ يدك إلى جيبك وتخرج المسدس ..

– ما هذا الذى تفعله يا أحمق ؟

يدوّى صوت الأب متسائلاً .. فتردّ وأنت تتراجع عن الفتى فاقد الوعى دون أن تبعد فوهة المسدس عنه :

– لا جدال هنالك أيها الأب .. إن ابنك مذءوب .. وهو من مزّق جثة ابنتك منذ شهر .. ستتكفل رصاصتى القضية بإنهاء المأساة بشرط أن تكونوا شهودى على هذا التحوّل .. !

عندئذ تدوى الضحكات ..

الجميع يضحك .. الأب حيث وقف جوار المدفأة .. (أوسكار) حيث جلس على الأريكة جوار أخيه .. وحتى الأم على مقعدها المتحرك ..

وحين استطاعوا أخيرًا أن يتمالكوا أنفسهم ، نظروا



يدوى صوت الأب متسائلاً .. فترد وأنت تتراجع عن الفتى فاقد الوعى دون أن تبعد فوهة المسدس عنه :

إلى وجهك المليء بالحنق .. وعادوا يضحكون ..

ـ أنا لا أهذى ـ تقولها غاضبًا ـ انظروا إلى وجهه لتدركوا مبلغ صدقى !

قال الأب وهو يخرج يده من جيبه :

ـ هو هو هو !.. أنت صادق يا (كولبى) .. هو هو !.. لكنك أبله !

عندئذ ترى مخالبه .. ، وترى شعر حاجبيه الذى يزداد كثافة ..

وترمق الأم حيث جلست على مقعدها فتراها تعضّ على شفتيها بنابين حادين واللعاب يتساقط من فيها ..

أما (أوسكار) و (جورج) فكان الشعر قد غطى وجهيهما تمامًا ..

ـ ألم تفهم بعد يا (كولبى) إننا عائلة من المذءوبين ؟.. وأن الداء انتقل إلينا جميعًا من (جورج) الشهر الماضى بعد ما قتل أخته وجرحنا جميعًا ؟.. ألم تفهم بعد أنك وحدك فى بيت موصد الأبواب وسط خمسة مذءوبين ؟!

ستصرخ يا (كولبى) لكن أحدًا لن يسمعك ..

ستطلق مسدسك .. ولكن ماذا تستطيع رصاصة فضية يتيمة أن تفعل ؟!...

لقد انتهت مشاكلك مع البروستاتا ... إلى الأبد ..!

أنهى د . (لوسيفر) قصته المروعة وهو يهتز كاتمًا ضحكة .. ثم إنه أمسك أوراق (التاروت) اللعينة وشرع يطويها وينشرها بين يديه فى الضوء الأخضر الكئيب ..

كان (كولبى) يرتجف كورقة ، ولم يفلح أحدنا فى تهدئته .. وأدركت أنه يرى الموقف الآن بكل تفاصيله الرهيبة ..

– كلهم مذءوبون ؟

– كلهم !

– دون استثناء ؟

– دون استثناء ؟

ثم إن (لوسيفر) نظر نحوى .. وداعب القرط فى أذنه .. ثم قال لى فى لهجة محببة للنفس بصوته الساحر ..

– الآن لم يبق سواك أى د. (رفعت) .. ولقد عهدتك لا تصدق حرفًا منذ جلسنا .. كمن يرى البهاء السماوى كاملاً ثم يأبى أن يؤمن ..

قلت وأنا أنفث دخان التبغ فى وجهه متظاهرًا بالثبات .

– نحن كمسلمين نأبى أن نصدق أن هناك من يعرف

الغيب .. والمنجمون يكذبون ولو صدقوا .. ، إنها مسألة عقيدة إذا أردت رأيى .. وإيمانى يعتمد على ألا أومن بأشياء كهذه ..

– لكنك ستجرب (التاروت) ..

– إن هى إلا لحظة وهن بشرى .. فضول لا أكثر ..

ابتسم وتبادل النظر مع (كلارتون) .

– أنت سمعت وعشت نهايات هؤلاء الجالسين ..

– وماذا عن نهايتى ؟

– إن الأمر فيما يتعلق بك يا د . (رفعت) لبسيط جدًا .. فأنت كهل وتعيش وحيدًا .. وأنت رجل مثقف تعرف جيدًا كل الأشياء المرعبة التى قد تحدث لكهل وحيد .. مثلك يا د . (رفعت) !

* * *

الحكـاية السادسة

(خطوات فى الردهة)

بطولة د. (رفعت إسماعيل)

(نظرات خالية من التعبير ، لكنها ــ فى ذات الوقت ــ تقول الكثير جدًا ..!)

الاسم : رفعت إسماعيل .
السن : ٤٤ عامًا .
المهنة : طبيب بشرى وأستاذ جامعى .
الجنسية : مصرى .
الحالة الاجتماعية .. ذئب عجوز متوحد .
الهوايات : بلا هوايات إلا إذا اعتبرنا التدخين هواية ، وحظه العاثر يوقعه دومًا مع مصاصى الدماء والموتى الأحياء والسحرة والمذءوبين . لكنه لم يحب هذا يومًا ولم يسع له . إن حياة (رفعت إسماعيل) لهى سلسلة طويلة لا تنتهى من التورط .
سمات شخصية : أصلع كحوض لأسماك الزينة ، نحيل كالقلم الرصاص ، معتل الصحة كمستعمرة درن كاملة ، يدخن كـ (برلين) حين دخلها الحلفاء .

ناولنى د . (لوسيفر) أوراق (التاروت) كى أخلطها ..

شعرت بقشعريرة حين لامست أناملى أنامله الباردة الصلبة ..

الأوراق نفسها كانت ناعمة الملمس كالأفعى (أنا لم

ألمس أفعى فى حياتى لكن لابد أنها كذلك) .. تفوح برائحة لا سبيل لوصفها هى مزاج من التوابل والقدم والعطور الشرقية ..

بدأت أركز ذهنى ـ مخلصًا ـ فى أى شىء .. لكن سُدى ..

ظل تفكيرى مبعثرًا فوق رمال الاهتمامات البشرية .. ، وخطر لى للحظة أن هذا سيؤدى إلى فساد التجربة ثم تذكرت أن التجربة فاسدة من الأصل ، ولن تنجح بأى منطق ..

وفرغت من تقليب الأوراق فأعدتها له ..

بدأ الرجل يفرز الأوراق على المائدة فى تؤدة :

ورقة الموت الكئيبة أولاً ..!..

نظر لى فى تهكم لحظة .. ثم غمغم :

ـ قصتك تبدأ بالموت فكيف تنتهى ؟.. أعتقد أنك من أصحاب الباع الطويل فى النحس يا صديقى !

ـ هذا ليس جديدًا علىّ ..

وشرع يتأمل باقى الأوراق ..

ورقة المحاكمة .. ثم ورقة القمر .. ثم ورقة المشنوق ..

قلت له متهكمًا :

ـ يبدو لى أننى سأقتل رجلاً ما حين يكتمل القمر .. وتتم محاكمتى وأعدم شنقًا !

ـ صه !

قالها لى فى حزم .. وقد بدا لى كأنما يركز تفكيره بعنف .. ثم أردف :

ـ حسب التفسير السيكولوجى لهذه الأوراق .. أنت مضطر للتضحية ليعود ميلاد نفسك .. يجب أن تسمو بذاتك فوق الوجود المادى ..

ـ هذا كلام عائم بلا رأس ولا ذيل ..

ـ صبرًا .. إن السحر هو التفسير الوحيد الذى أركن إليه هنا ..

وشرع يحكى لى ما يرى ..

* * *

ـ أنا مشرفًا على رحلة طلابية ؟!

هكذا هتف د . (رفعت) وهو يقرأ اسمه الذى أرسلته له رعاية الشباب بالكلية مطالبة إياه بأن يكون مسئولاً عن رحلة طلابية إلى القناطر الخيرية ..

شرع الرجل يولول ويصرخ .. فهو آخر من يصلح لهذه المهمة السقيمة بين كل أساتذة الكلية ..

لكن هؤلاء القوم كانوا مصرّين كالكابوس .. وقالوا

له كلامًا لا أول له ولا آخر عن علاقة الطالب بالأستاذ ، وعن الأبوة ، وعن الدور الريادى للأساتذة .. و ... و .....

وهكذا وجد العجوز (رفعت إسماعيل) نفسه جالسًا فى مقعد خلفى من الحافلة يصغى لهرج الطلبة ومرجهم ، وقرع الطبول وتصفيق الأكف ..

وتلك الأغانى السخيفة المبتذلة التى يرددها كل الطلاب فى كل الرحلات منذ كان هو نفسه طالبًا ..

الصبر يا د . (رفعت) !.. الصبر !..

ظل يردد هذا فى سره وهو يمضغ لفافة تبغه العاشرة ويتسلى بقراءة صفحة الوفيات فى الجريدة ..

كان يرجو أن يتركوه وشأنه لكنهم لم يرحموه ..

أقحموه فى عشرات الألعاب السخيفة الجماعية على غرار (كيلو بامية) وسواها .. وكان عليه أن يبتسم على الرغم منه بينما هؤلاء الفتيان والفتيات المفعمون بحب الحياة إلى حدّ المرض يهتزون حوله مرددين الأغانى والدعابات ..

بالنسبة لـ (رفعت) كان واجبه أمام نفسه يتلخص فى أن يمنع طالبًا من أن ينتحر أو طالبة من أن تدهمها

سيارة .. لكن المرح شىء اختيارى لا يمكن إرغامك عليه بقرار حكومى ..

* * *

وفى القناطر الخيرية واصل هؤلاء المهرجون عبثهم .

وفى ظل شجرة وارفة جلس د . (رفعت) يدخن ويرمق المهزلة البشرية الجارية أمامه ..

ثم إنه مدّ يده إلى جعبته فأخرج الكاميرا العاكسة التى كان قد اشتراها من (انجلترا) منذ عشرة أعوام .

لم يكن (رفعت إسماعيل) من هواة التصوير .. لكنه أحسّ بحاجته إلى استعمال الكاميرا قبل أن تتلف من طول إهمالها ..

راح يتنقل هنا وهناك يختار كادرات متوازنة تعكس جمال الطبيعة ، وإبداع خالقها .. لكنه ـ كلما ذهب إلى مكان ـ وجد الكادر يمتلئ بعشرات الأوغاد الذين لا تدرى من أين يأتون . كلهم يبتسمون وقد كونوا الصفين الشهيرين : الصف الجالس على ركبتيه .. والصف الواقف خلفه ، ولا بأس بواحد أو اثنين من الصف الخلفى يمدون إصبعين ليرسموا قرونًا فوق رءوس الغافلين فى الصف الأول !.. والكل يرسم على وجهه بسمة بلهاء ..

عليكم اللعنة جميعًا ..!

كان د. (رفعت) يعرف الموجودين جميعًا ، إن لم يكن بالاسم فعلى الأقل بالوجه .

لهذا أثار انتباهه شابان يقفان بمعزل عن الآخرين .. أحدهما شاب وسيم متأنق يعاني من ظاهرة (الألبينو) التي يسميها العامة بـ (عدو الشمس) .. فهو أحمر اللون أبيض شعر الرأس والحاجبين والأهداب .. وعيناه رماديتان محمرتان .. ، والآخر كان فتاة بارعة الجمال ترتدي منظارًا أسود ..

وكلا الشابين كان يمسك بكف صاحبه ، وبدا أنهما ينأيان عن الجمع ولا يكفان عن تبادل الهمسات ، أو الجلوس متقاربي الرأس في ظل إحدى الأشجار .. إنه الحب إذن ..

مال (رفعت) على أذن أحد الطلبة سائلاً عنهما .. فهو لم يرهما من قبل وبالتأكيد لم يدرّس لهما قط .. فأجابه الطالب :

ـ إنهما (عادل) و (هالة) .. زوجان شابان من السنة الثالثة .. منعزلان تمامًا ولا يختلطان بأحد .. مهذبان ..

ـ لم أرهما قط ..

ـ جاءا من الإسكندرية هذا الشهر فقط .. وهما يثيران التساؤل دائمًا لكن أحدًا لم يستطع معرفة ما هو أكثر ..

نظر د . (رفعت) إلى الزوجين الشابين حيث وقفا يتأملان بعض الزهور .. لم يستطع أن يخفي حسده لهما .. كلاهما شاب وسيم ويحب الآخر .. هذه هي السن التي يمكن للمرء فيها أن يستمتع بالحبّ ويتوحد بالطبيعة .. ، هو أيضًا كان توّاقًا إلى الحب في هذه السن .. لكنه كان عاجزًا عنه .. مجرد طالب ريفي خجول عاكف على الدراسة .. وعلى تدبير حياته بالملاليم التي ترسلها له أمه من القرية .. وها هو ذا ـ بعد كل هذه الأعوام ـ عاجز عن الحبّ لأن القطار قد ولّى بعيدًا ... حينما كان قادرًا على الحب لم يكن يملك .. وحينما ملك لم يعد قادرًا على الحبّ .

المهم .. رأى أن من واجبه نحو (عصفوري الحبّ) هذين أن يلتقط لهما بعض الصور خفية .. بشرط أن تبدو كأنها جاءت بالصدفة ..

اتجه نحوهما وصوّب الكاميرا ..

وهنا حدث شيء غريب .. رآهما يفرّان من أمام العدسة كأنما هي فوهة بندقية مصوبة نحوهما ..

غريب !.. لماذا يتصرفان هكذا ؟.. وبدأ القلق يزحف إلى قلبه ..

هل هما حقًا متزوجان ؟.. ربما يزعمان هذا كى يظفرا بحرية أكثر ، وعندئذ لن يرحبا بصورة فوتوغرافية تسجل علاقتهما ..

ثم إنه استبعد هذا الاحتمال ..

يخفيان علاقتهما عن من إذا ما كانا – بالفعل – يشهدان عليها مائة طالب وأستاذهم ؟!..

هل هما متدينان من النوع الذى يؤكد تحريم التصوير ؟.. لا يبدو عليهما أى نوع من التدين العادى أو المتطرف ..

حاول مرة أخرى .. فمرات .. أن يلتقط صورة تضمهما ..

لكن النتيجة واحدة فى كل مرة ..

أيقن (رفعت) أن هناك سرًا ما ..

وفى المرة الأخيرة – بدافع العناد – اختبأ خلف كتف أحد الفتيان الواقفين أمامه .. والتقط صورة للشابين ..

ولم يفته – عبر (مُحدِّد الرؤية) – أن يدرك أن الفتاة أدارت وجهها نحوه .. ورأته من خلف منظارها الأسود .. لكن بعد فوات الأوان .. ورآها تجذب ذراع زوجها لتلفت نظره ..

انتهى اليوم وبدأت رحلة العودة فى الحافلة ..

وفى المقعد الخلفى جلس د . (رفعت) يوزع الابتسامات متظاهرًا بالسرور بينما الضوضاء تصمّ أذنيه.

إن هؤلاء الحمقى يعتقدون أن السبيل الأوحد للتعبير عن الحياة هو الصخب .. لو أن (ديكارت) هنا لغير مقولته الشهيرة إلى (أنا أصرخ إذن أنا موجود) .

ولم يفت د. (رفعت) أن يلاحظ أن الفتى عدو الشمس لم يكف عن اختلاس النظر إليه ..

نظرات طويلة خالية من التعبير ..

لكنها – فى ذات الوقت – تقول الكثير جدًا ..

* * *

إلى هنا انتهى د. (لوسيفر) من كلامه .. ونظر لى ليسألنى سؤاله التقليدى :

– هل ثمة خطأ فيما قلته ؟

لم أستطع أن أرد ..

إن الحقيقة المروعة هنا ..الحقيقة التى لم أستطع أن أفندها هى أن كل ما قاله صائب .

أنا قمت بهذه الرحلة فعلاً قبل قدومى إلى (الولايات المتحدة) بأسبوعين .. وكل ما ذكره صواب بلا أدنى تحريف ..

كنت آمل أن يكشف لى عن زيفه .. إذ إننى أنا الوحيد الذى يستحيل أن يعرف عنه أى شىء ..

فى حالة مسز (مازورسكى) و (مارى) كان الرجل قادرًا على معرفة قصتهما من د . (هندريكس) خاصة وهذا الأخير هو من أوصاهما باستشارة د. (لوسيفر) ..

فى حالة (كولبى) لا توجد مشكلة .. فهذا الأبله لا يحسن الاحتفاظ بسرّ وقتًا أطول من الوقت الذى تمتلئ فيه مثانته ..

فى حالة (هارى) ظننت أنه ثرثر بشىء ما للشقراء التى كان معها وهى نقلت فحوى الحديث إلى د. (لوسيفر) ..

وفى حالة (جون ميلز) .. من يدرى ؟.. لربما كان هو نفسه متعاونًا مع (لوسيفر) كما يحدث كثيرًا مع وسطاء قارئى الأفكار ..

أما أنا .. فالحق أقول إننى لا أملك أدنى فكرة ..

إبتلعت ريقى وبصوت غريب قلت :

ـ أرجوا أن تستمر ..!

* * *

قال د. (لوسيفر) :

ـ أنت لم تحمض الفيلم بعد يا د. (رفعت) .. أرسلته إلى المعمل ثم نسيت كعادتك كل شىء عنه ..

لكنك ستتذكر أمره حين تعود إلى (القاهرة) .. وستذهب لاستلام الصور .. وعندئذ ستجد ما يثير قلقك .

لن تجد هذين الشابين فى الصورة التى التقطتها لهما ...

ستجد الخلفية والمشهد الطبيعى وحتى كتف الفتى الذى احتميت به .. لكنك فيما عدا ذلك لن تجد شيئًا ..

إلى البيت ستعود حائرًا يا د . (رفعت) عاجزًا عن الفهم ..

ما معنى ذلك ؟..

معناه ـ بكل بساطة ـ أن هذين الشابين من مادة مغايرة لنا .. مادة لا تعكس الضوء ..

أنت تعرف من قراءاتك أن هذا هو شأن الأشباح والأطياف ومصاصى الدماء .. فهل ينطبق شىء من هذا على هذين ؟..

إن أحدًا من طلابك لا يعرف من أين جاءا ولا أين يذهبان بعد ساعات الدراسة .. إذن يحتمل الأمر أى شىء .. إنهما يذهبان إلى مجرة أخرى أو تحت الأرض أو إلى تابوت خشبى .. لا فارق .. المهم أنهما كانتا مخيفان ..

الأسوأ هنا هو ما تلاحظه من آثار عبث فى شقتك ..

هناك من دخل الشقة فى أثناء سفرك .. لم يسرق شيئًا (وأنت لا تملك ما يُسرق) .. لكنه بحث بعناية وصبر .. عن ماذا ؟..

الأمر واضح ولا يحتاج بحثًا ....

* * *

وفى المساء تحكم إغلاق الشقة عليك .. ثم تدخل فراشك ..

وبرغم مئات الخواطر القلقة يتسرب النعاس إلى عينيك ببطء .. ببطء .. وتنام ...

إلى متى ؟.. لا أحد يعرف ..

لكنك تصحو فى قلب الليل على صوت خطوات فى الردهة ..

تهرع – حافى القدمين – إلى باب الغرفة ، وتصيخ السمع .. نعم .. لاجدال فى أن هناك من يمشى فى الردهة ..

تفتح الباب بعد أن تخرج مسدسك من تحت الحشية ..

وبحركة مسرحية تمدّ يدك إلى مفتاح النور ..

وتضيئه فلا تجد أحدًا ..

تسمع صوت الخطوات يبتعد متجهًا إلى غرفة المكتب .

فتهرع إلى هناك .. وتمدّ يدك إلى زر الإضاءة ..

وهنا تراهما ...

لقد تبدلا كثيرًا والحق يقال ..

لم يعد شىء فى وجهيهما يمت لوجوه البشر .. بل هما كتلتان هلاميتان تسيلان باستمرار ويقطر منهما سائل أخضر لزج إلى البساط ..

أما يداهما فقد تحولتا إلى نوع من المجسات كأيدى الأخطبوط .. لكنهما كانا يرتديان ثياب الذكر والأنثى ..

وترى الذكر فيهما يقف وراء المكتب المفتوح منهمكًا فى تقليب الأوراق .. أما الأنثى فتقف جوار خزانة الكتب تفرزها وتلقى كتابًا تلو الآخر على البساط ..

– معذرة على تطفلنا يا د . (رفعت) .. ومعذرة على أننا لم نكلف نفسينا بالتحول إلى صورتكم !

كذا يدوى صوت الذكر وهو جالس على المكتب لا يتحرك .. ثم يردف وهو يمسك مجموعة الصور بين يديه الرخوتين :

– أنت تفهم أننا لا نرغب بتاتًا فى أن يرى هذه الصورة أحد .. ! فالفيلم عاجز تمامًا عن تسجيل انعكاس أجسادنا ..

– مـ .: من أنتما ؟



لم يعد شيء في وجهيهما يمت لوجوه البشر .. بل هما كتلتان هلاميتان ..

ـ إنه لسؤال عسير .. لكنك تستطيع القول إننا مخلوقات قادمة من أعماق الأرض .. ونحن مكلفان بتعرّفكم ودراسة أحوالكم ومدى استجابتكم لاحتمال الغزو !

ـ هل .. هل تمزح ؟

ـ إن ملامح وجهي تؤكد لك أنني لا أمزح .. أرجو أن تترك هنا السلاح جانبًا فهو عديم النفع مع الكتل البروتوبلازمية من أمثالنا ..

ثم ينهض متجهًا نحوك :

ـ كنا نحاول أن نتأقلم معكم لكن فضولك جعلك تتسرع .. حاولنا العثور على هذه الصور مرارًا في أثناء سفرك لكن سدى .. والآن وقد تخلصنا من الصور ..

يقولها وهو يحاصرك ما بين الجدار وبين زوجته :

ـ حان الوقت للتخلص ممن رأى هذه الصور .. !

....

* * *

انتهى د . (لوسيفر) من الكلام فشرع يجمع أوراق (التاروت) ويدسها فى علبة لامعة أنيقة ..

ثم نظر لى بعينيه الحادتين النفاذتين :

ـ هل هناك أسئلة ؟.

قلتِ محاولاً تمالك أعصابى :

ـ حسبتك ستقدم لى نبوءة منطقية ..لكنك قدمت لى قصة من قصص الخيال العلمى من طراز (إنهم بيننا) ..

ـ أنت عائد إلى (مصر) .. ولسوف ترى ما إذا كان د. (لوسيفر) نصابًا آخر أم عبقريًا ..

قال (كلارتون) وهو ينهض على قدميه بصعوبة :

ـ والآن يا سادة .. إذا لم يكن لديكم مانع .. إن د. (لوسيفر) منهك وبحاجة إلى قسط من راحة ..

نهض (هارى) و (ميلز) و (كولبى) أما أنا تظللت أرمق (لوسيفر) فى ثبات بعض الوقت .. ثم غمغمت وأنا أقابل نظرته الحادة بمثلها :

ـ إن لى سؤالاً أخيرًا يا د . (لوسيفر) ..

ـ أى شىء ..

ـ من أنت ؟..

نظر لى فى صمت بعض الوقت .. ابتسامة خفية

تلاعبت على ركن فمه الأيسر .. ثم نهض دون كلمة أخرى مغادرًا المكان مع (كولبى) و (كلارتون) ..

* * *

ارتديت حذائى وتأبطت ذراع (هارى) لأتمكن من المشى .. ثم غادرنا الصومعة إلى قاعة الاحتفالات الهائلة بالخارج ، التى خوت على عروشها تمامًا ، فلم يعد بها سوى اثنين أو ثلاثة من السكارى .. وأُطفئت أكثر الأضواء .. وسادت الفوضى المكان من أطباق فارغة متسخة وزجاجات مبعثرة وأعقاب سجائر .. بينما الخدم يعملون جاهدين على تنظيف كل هذا ..

إنها الساعات الأولى من فجر يوم جديد ..

* * *

خاتمة الحلقة

(لأنه رجل لطيف طيب .. ولا أحد ينكر ذلك !)

مرت أيام عليّ أنا و (هارى) لا نتحدث عن شيء سوى ما كان فى تلكم الأمسية الطويلة الشبيهة بكابوس ..

بصعوبة كنا نصدق أن كل هذا كان حقيقيًا ، وأننا حقًا كنا هناك مع هذا الرجل غريب الأطوار .. وسط هذا الحفل الشاذ ..

وفى الصحف قرأنا خبر سفر د . (لوسيفر) العالم المجرى الشهير في شئون ما وراء الطبيعة عائدًا إلى وطنه ..

عندئذ فقط استطعنا أن نصدق أن كل هذا مرّ بنا ..

* * *

جلست و (هارى) فى ذلك الصباح المشمس نتحدث عن نبوءات د . (لوسيفر) الست لمن كانوا معه ..

قلت لـ (هارى) وأنا أشعل لفافة تبغ وأريح ساقىّ على مقعد آخر فى الحديقة :

ـ مهما قلت لى .. أنا لا أومن بقدرة مخلوق على معرفة الغيب .. هذا الرجل كان يهذى بما لا يعلم ..

ـ كان دقيقًا فى شرح كل ما يدور بخلدنا .. أنت تنكر هذا ..

اعتدلت فى جلستى .. وقلت :

- أعترف أن هذا صحيح .. لست واثقًا من أنكم لم تثرثروا فيما يتعلق بكم ، لكنى واثق من أننى لم أفتح فمى .. ، فى بلدى يوجد عدد من الدجالين الذين يزعمون قدرتهم على الاتصال بعالم الغيب .. وأكثر هؤلاء يعتمدون على اللحظات التى يثرثر فيها (الزبائن) قبل أن يدخلوا لهم .. ، ثم هم يعتمدون على الفراسة والحدس الشخصى إلى حد كبير .. إن دخول امرأة يعنى فى الغالب أنها تشكو من العقم .. ودخول فتاة قبيحة متقدمة فى العمر يعنى أنها تشكو من قلة الخطاب ..

ابتسم (هارى) فى تهكم :

- لا أحسب هذا يسرى هنا .. فلا شىء فى ملامحى يوحى بأننى فقدت دمية (فودو) .. ولا شىء فى ملامحك يوحى بأنك قمت بتصوير شابين غريبين ..

ثم أضاف وهو يتخلل بأنامله شعره الأشقر :

- هل خضعنا جميعًا لتنويم مغناطيسى أمكنه معه أن ينتزع أسرارنا من الصدور ؟..

- لا أظن .. ليس التنويم المغناطيسى الجماعى سهلا إلى هذا الحد ..

- ربما هو شىء دسه لنا فى القهوة ؟

- حتمًا لا .. أنا لم أحتس قهوته .. وكذلك (كولبى) ..

ثم أضفت وأنا أرمى عقب السيجارة بعيدًا :

- حتى لو عرف بصيصًا من الحقيقة فهو غير قادر على صنع هذا المزيج المحكم من التفاصيل .. (مارشا) وابنها .. مسز (مازورسكى) وسيارتها الصغيرة وعاداتها فى شرب اللبن .. تفاصيل رحلة يقوم بها طلبة طب مصريون إلى القناطر .. مستحيل أن يلفق كل هذا وإلا كانت هناك أخطاء فاضحة ..

- إذن ما رأيك ؟

نظرت إلى وجهه .. وقطبت حاجبىّ :

- رأيى أن هذا الـ (لوسيفر) يقرأ الأفكار حقًا ..

* * *

أما عن الجانب التنبؤى من عمله .. فلا أدرى ..

لقد كانت كل حكاية من حكاياته تنقسم إلى جزأين : ما حدث وما سيحدث ..

الجزء الأول : ينتهى دائمًا بجلسة قراءة الطالع هذه .

والجزء الثانى : يبدأ بها ..

الجزء الأول : صادق ودقيق ولا تفسير له سوى قراءة الأفكار ..

الجزء الثانى : لا يمكن معرفة دقته .. لكنه كان ينتهى دومًا بنصيحة .. والآن تعال نجر إحصائية لما تنبأ به الرجل :

١ ـ قصة مسز (مازورسكى) : تتبأ لها بالموت على يدى ابنتها مصاصة الدماء .. ونصيحته واضحة : يجب أن تقتل ابنتها قبل أن تقتلها .. أو على الأقل ترسل فى طلب ابنيها ليكونا معها ..

٢ ـ قصة (جون ميلز) : القصة الوحيدة التى لم تنته بالموت . إنه ينصح الرجل بالإقدام على التجربة .

٣ ـ قصة (مارى جوليم) : تلقى (مارى) حتفها على يد (جاك السفاح) الذى عادت روحه تعيث فسادًا فى عالمنا .. النصيحة هنا هى حرق (هارييت) التى يوحى كل شيء بأنها ساحرة .

٤ ـ قصة (كولبى) : يموت على أيدى أسرة من المذءوبين الإيرلنديين .. وعلى (كولبى) أن يتحاشى اللقاء يوم ١٤ يوليو أو يتسلح بعدد أكبر من الطلقات الفضية .

٥ ـ قصة (هارى) : فى هذه القصة لا يموت (هارى) بل زوجته الحبيبة ـ وهذا أسوأ ـ وعليه أن يسترد دمية (الفودو) قبل فوات الأوان من الأم (مارشا) .

٦ ـ قصتى أنا : ألقى حتفى بيد غريبين من أعماق الأرض .. ولا أدرى كيف أتحاشى هذا أو أنجو منه .

ست قصص وخمسة موتى بأبشع الأساليب وأغربها .. كأن أحدًا لايمكن أن يموت فى حادث سيارة أو بنوبة قلبية.

وإننى لأسائل نفسى ..

* * *

بعد أسبوع بدأت أشياء كثيرة تتضح ..

الحادث الأول هو حادث غريب تحدثت عنه الصحف النيويوركية بالتفصيل :

امرأة عجوز تعيش مع ابنتها وحيدتين فى الدار ، قامت هذه المرأة بقتل ابنتها الشابة مستعملة وتدًا خشبيًا (لأنها مصاص دماء) على حدّ قولها .. وقد أسلمت نفسها للشرطة فور الانتهاء من عملها المقيت هذا .

أثبتت تحريات الشرطة أن الفتاة كانت مدمنة مخدرات ، وقد أصابها ذلك الداء الزنيم من صديقاتها . لقد كانت تخبئ مخزون المخدرات فى مكان ما بقرب البيت ..

هكذا ..

على ضوء هذا الخبر يمكننا تفسير تصرفات (لويز) المريبة كلها .. شحوبها .. خروجها الليلى الغامض ..

وحتى أثر العضة فى معصمها .. إنها أسنانها هى بينما كانت الحاجة للمخدر تمزقها !..

الخبر الثانى هو : مصرع مدير شركة فى أحد أزقة (نيويورك) برصاصة فى رأسه .. كان الاعتقاد السائد هو أن عصابة ما قد قتلته ورمت جثته هناك ، لكن الطب الشرعى أكد من احتراق الجلد واتجاه الطلقة أن الحادث كان انتحارًا .. كذلك أثبت اختبار (المولاج) أن آثار النترات موجودة على أصابع الجثة مما يؤكد أن مصرعها هو انتحار ، وبالتالى لا يستحق المتوفى قيمة بوليصة التأمين على حياته والتى كان سيحصل عليها لو مات بطريقة طبيعية .

الخبر الثالث هو : محاولة فتاة شابة إحراق صديقتها إذ أوثقتها وقامت بسكب البنزين فوقها .. وكانت على وشك إشعال عود ثقاب حين استغاثت الضحية بالجيران . قالت المتهمة إنها تتهم صديقتها بالتسبب فى مصرع صديقة ثالثة لهما . ومن المعروف أن هذه الصديقة الثالثة قد هاجمها مختل نفسى فى أحد الأزقة وخنقها بحبل .

الخبر الرابع : محاولة مشعوذ أن يغتال أفراد أسرة إيرلندية زاعمًا أن هناك مسخًا ذئبًا بين أفرادها .. بل إنه

كان يعتقد أن الأسرة كلها مسوخ ذئاب وأعد لهم مسدسًا محشوًا برصاص فضىّ .. ، ويبدو أن هناك رجل دين أقنعه بهذا ..

النتيجة : تم عرض المشعوذ على الطبيب النفسى ..

* * *

قلت لـ (هارى) شاعرًا بالزهو :

ـ هل رأيت ؟.. كل تنبؤات (لوسيفر) كانت زائفة .

هزّ رأسه فى حيرة وقال :

ـ بالفعل .. كلها أوهام بلا أساس ..

ـ لقد أجاد هذا الرجل زرع الشكوك فى نفوسنا .. الشكوك التى لا سبيل إلى دحضها .. وغدًا كل واحد منا على استعداد لعمل أى شىء كى ينجو .. وها هى ذى النتيجة :

مسز (مازورسكى) قتلت ابنتها المدمنة بدلاً من أن تعالجها .. إن سلوك مدمن المخدرات لمريب ، ويمكن الإيحاء بسهولة لضعاف الشخصية أن مدمن المخدرات قد أصيب بمس شيطانى .. ، نفس الشىء حدث مع (مارى) التى حاولت أن تحرق (هارييت) على أساس أنها ساحرة .. لم تكن (هارييت) سوى فتاة عابثة ماجنة .. ربما هى من حرّض (لويز) على الإدمان ..

لكنها لم تكن ساحرة .. ، أما مستر (ميلز) البائس ذو طبيعة المقامرين .. فكان من السهل إقناعه بالتمادى فى لعبة هى الانتحار بعينه .. وقامر المسكين مقامرته الأخيرة وخسر .. وتخلص الشيطان (كلايد) من جثته .. وها هو ذا (ميلز) قد خسر حياته ومبلغ التأمين .. وظفر بالجحيم الأبدى .. ، أما عن (كولبى) فمن حسن الحظ أنهم أوقفوا هذا المعتوه قبل أن يسبب مذبحة .. وماذا عنك يا (هارى) ؟

تحاشى نظرتى .. وغمغم :

ـ مهما كان .. سأسترد هذه الدمية !

ـ هذا من حقك لو أنها كانت عند (جابرييل) حقًا .. لكنى أنصحك ألا تتهور ـ وأنت كذلك ـ فى محاولة الحصول عليها ..

ضيق (هارى) عينيه .. وتساءل :

ـ ولكن لماذا حاول (لوسيفر) دفعنا جميعًا إلى الهلاك ؟..

قلت فى ثقة وأنا أحك رأسى :

ـ لأنه ـ كما يقول اسمه ـ شيطان !

* * *

نعم .. كان (لوسيفر) شيطانًا ..

شيطانًا يتسلى بتحريض الأبرياء على الشرّ .. وإثارة الهلع فى نفوسهم من أبنائهم ... من أصدقائهم ..

يدفعهم إلى إلقاء أنفسهم إلى التهلكة ..

لقد بذر بذور الشر فى نفوسنا .. ثم رحل تاركًا لها أن تورق وتغدو أشجارًا سامقة ترتوى بالدماء والكراهية .

نعم .. كان (لوسيفر) شيطانًا .

ودليلى على هذا هو ردّ سفارة (المجر) على ما نشر بالجريدة ، من أنها لا تعرف مواطنًا لها يدعى (فرانتز لوسيفر) ..

إذن فمن أين جاء هذا الرجل ؟..

قالوا إنه سوفييتى فارّ من وراء الستار الحديدى .. وقالوا إنه من (أمريكا اللاتينية) ..

لكننى لا أدرى داعيًا لكثرة التساؤل .. ولا تخبط الآراء ..

لقد جاء هذا الرجل من سقر ..

* * *

وهكذا تنتهى حكايات (التاروت) .. أو حلقة الرعب الثانية ..

تسألوننى عما حدث لى أنا بصدد نبوءتى ..

طبعًا لن أعرف شيئًا حتى أعود إلى (مصر) وأقوم

باستلام الصور الفوتوغرافية إياها ..

وإن كنت أتوقع بالفعل شيئاً غير مألوف بصددها ..

ستكون هذه هي الأسطورة القادمة .. ، أما عن حلقة الرعب الثالثة فلكم أحكيها بعد عشر قصص أخرى كما تعودنا ..

قد ألمح لكم بجزء منها الآن ..

ولكن هذه حلقة أخرى ..

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

* * *